خالد العزي

عن «حزب الله» وسنّة لبنان في ظل «حرب الإسناد»

أمم
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

خالد العزي

عن «حزب الله» وسنّة لبنان في ظل «حرب الإسناد»

مقدمة

شـهِد شـهر تشـرين الأول ٢٠٢٤ نهايـة مـا عُـرف بحـرب الإسـناد مـن خـلال توقيـع اتفـاق وقـف إطـلاق النـار بيـن لبنـان و«حـزب اللـه» مـن جهـة وإسـرائيل مـن جهـة أخـرى كمـا شـهد تحـوُّلًا كبيـرًا فـي الداخـل السـوري تمثـل بسـيطرة مـا يُعـرف بــ«إدارة العمليـات العسـكرية علـى الحكـم فـي سـوريا وتبـوّؤ قائدهـا أحمـد الشـرع «أبـو محمـد الجولانـي» مقاليـد إدارة المرحلـة الانتقاليـة وهـروب رئيـس النظـام السـوري بشّـار الأسـد إلـى روسـيا وبالتالـي سـيطرة مـا يُعـرف بـ«الإسـلام السياسـي (السـنّي)» علـى سـوريا وبالتالـي قطـع طريـق إمـداد «حـزب اللـه» فـي لبنـان وانسـحابه مـن الداخـل السـوري وعودتـه إلـى لبنـان، وبالتالـي الدخـول فـي مرحلـة جديـدة فـي لبنـان وسـوريا.

أمـا بالنسـبة إلـى هـذا التقريـر فقـد هـدف إلـى تسـليط الضـوء علـى طبيعـة علاقـة «حـزب اللـه» مـع مـا يُعـرف بالبيئـة السـنّية فـي لبنـان ومحاولتـه التغلغـل فيهـا ليعـرض طبيعـة هـذه المحـاولات خـلال فتـرة «طوفـان الاقصـى» أو مـا يُعـرف بحرب الإسـناد، وقـد كُتب هـذا التقريـر فـي الفتـرة التـي سـبقت توسُّـع هـذه الحـرب.

تمهيد

شـكَّلت عمليـة «طوفـان الأقصـى» انقلابًـا جذريًّـا فـي المفاهيـم لـدى الخصـوم والحلفـاء؛ حيـث انعكسـت تأثيراتهـا علـى الـرأي العـام، وبذلـك تغيّـرت خارطـة التحالفـات والعلاقـات فـي لبنـان، نتيجـة التبنّـي الواضـح للبعـض لمشـروع «حـزب اللـه» فـي الدفـاع عـن غـزة ونُصرتهـا وليـس كمناصـر للقضيـة الفلسـطينية وكيفيـة التعاطـي معهـا مـن الجانـب اللبنانـي باعتبـاره، أي الحـزب، لبنان سـاحة مسـاندة مـن قِبلـه والـذي يعتبـر أن مسـاندته لغـزة بفتـح الجبهـة الشـمالية «لإسـرائيل» سـتكون ضعيفـة جـدًّا مـن قِبَلـه إذا مـا اسـتطاع ضـمّ حلفـاء جُـدد لتكـون الغطـاء الفعلـي لهـذه الحـرب، فكانـت الطائفـة السـنّية فـي مرمـى أهـداف «حـزب اللـه»، باعتبـار أن انخـراط السـنّة فـي هـذه الحـرب لأجـل فلسـطين سـتكون الغطـاء الفعلـي لـه في حربـه، وتأميـن حاضنـة لبنانية إسـلامية حيـث باتـت الجماعة الإسـلامية والفصائـل الفلسـطينية فـي طليعـة المنخرطيـن فـي هـذه الحـرب التـي أبعـدت عـن الحـزب شـبح المذهبيـة.

لكـن بالرغـم مـن الانخـراط العسـكري للجماعـة الإسـلامية فـي هـذه الحـرب لـم يسـتطع الحـزب تأميـن إلتفـاف سـنّي كامـل حولـه وحـول مشـروعه، واسـتدراج الطائفـة السـنّية فـي هـذه الحـرب لتأميـن مصالـح إيـران ومشـاريعها القوميـة وتسـوية علاقاتهـا مـع أميركا بعيـدًا مـن تحالـف الاعتـدال العربـي.

كلمات مفتاحية: الحزب والسردية الإيرانية، طوفان الأقصى، الطائفة السنّية، الجماعة الإسلامية، «حزب الله».

حين تأكل الثورة أبناءها:

منذ اندلاع الثورة الإيرانية عام ١٩٧٨ - ١٩٧٩ والتي أكلت فيها الملالي كل الأحزاب والحركات السياسية الإيرانية، كان لدى الملالي طموح بالسيطرة على العالمين العربي والإسلامي وبسْط النفوذ من خلال تصدير الثورة إلى الدول العربية والإسلامية وبناء دويلات داخل الدول من أجل نشر أفكار الثورة الإسلامية ببناء دولة ولاية الفقيه للسيطرة والتحكّم بمفاصل الدولة والسطو على الأقليات. فكانت تجربة إيران منذ خمس وأربعين عامًا قائمة على السيطرة وتأمين الغطاء لبسط نفوذها ونشر مشروعها فكان حزب «تودة» الإيراني[١] و«مجاهدي خلق»[٢] مثالًا على ذلك وكانت الأفراد ورجال الدِّين والجماعات الإسلامية الأخرى، كـ«حسين منتظري»[٣]، نموذجًا واضحًا على تصرُّفات الملالي ومقاصِدهم في الداخل.

أما في الخارج فقد استخدمت ايران الأقليات الشيعية في بعض الدول لتأمين نفوذ لها بصفتها مرجعية سياسية لهم وأيضًا السيطرة على المرجعية الدِّينية فيها حيث باتت الأقليات الشيعية مرتبطة بمشروع ولاية الفقية وبعيدة عن ارتباطها بأوطانها رغم أنها مكوِّن أساسي في بناء الدولة وليس جزء من مشروع.

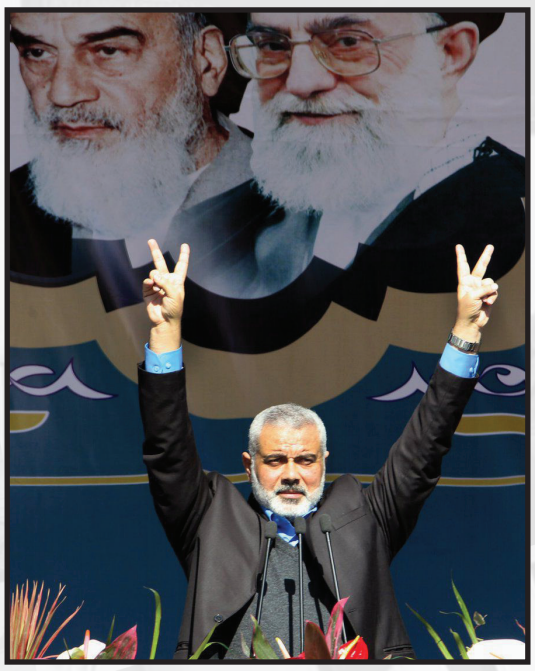

اسماعيل هنية رافعًا شعارة النصر، وفي الخلفية صورة الخامنئي والخميني

لكن جعلت من القضية الفلسطينية مطيّة أساسية لها لكي تتعارض مع المشاريع العربية المعتلّة، ورفع شعارها الدائم تحرير فلسطين وعدم الاعتراف بطرح الدولتين الذي قبِل به القائد الفلسطيني ياسر عرفات، مما ساهم في احتضان كافة المتطرّفين الإسلاميين والقوميين على حساب مواقف الدول العربية.

إيران تقاتل في سورية والعراق واليمن ولبنان بواسطة جماعاتها الولائية التي أسّستها وموّلتها طيلة ٣٠ سنة فائتة، لتكون أدواتها في هذه الحرب الجديدة التي تخوّف العالم من الإرهاب السنّي، حيث تقدِّم نفسها حامية للسلام، وقادرة على كَبح طموح هذه «الأحزاب الإرهابية السنّية»، مما يساعد إيران على كسب ثقة الغرب في نشر نفوذها وإقامة حُلمها في الوطن العربي حيث، يتقاتل العالم كله للسيطرة على هذه المنطقة الجغرافية المميّزة وإعادة تقاسم النفوذ فيه.

لكن مع اندلاع انتفاضة الأقصى باتت المصالح الإيرانية أمام مفترق مهم، وبالتالي «حماس»[٤] التي تعرّضت لضربة كبرى وربما إلى هزيمة، وإيران لا تريد أن تخسرها. من هنا كان التوجّه

(١) تأسس أول حزب شيوعي في إيران في تموز عام ١٩٢٠م، مستلهماً أفكاره من المد الاشتراكي العالمي في تلك الفترة. ومع اعتلاء الشاه رضا بهلوي العرش (١٩٢٥-١٩٤١م)، واجه الحزب قمعاً شديداً حال دون ممارسته أي نشاط سياسي علني، نظراً لعداء الشاه الواضح للشيوعية وتوجسه من تأثيراتها على نظامه الملكي وسياسته الإصلاحية ذات الطابع المركزي. بعد سقوط حكم الشاه رضا بهلوي عام ١٩٤١م نتيجة الضغوط الدولية والتدخلات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، عاد الحزب الشيوعي الإيراني إلى الساحة السياسية، واستأنف نشاطه تحت اسم "حزب توده". سرعان ما أصبح الحزب لاعباً مهماً في الحياة السياسية الإيرانية، مشاركاً في معظم الأحداث الداخلية خلال تلك الفترة. (يراجع في هذا الخصوص: حزب توده الإيراني ودوره في الحياة السياسية الإيرانية(١٩٤١ – ١٩٥٣)، مجلة القادسية، ص ٢٥٥-٢٧٠).

(٢) «مجاهدي خلق» هي منظمة معارضة إيرانية يتزعمها مسعود رجوي، وتُعد من أبرز التشكيلات المعارضة للنظام الإيراني الحالي. تأسست المنظمة عام ١٩٦٥، ولعبت دوراً بارزاً في محاربة نظام الشاه والمساهمة في إسقاطه خلال الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. بعد الثورة، دعمت المنظمة الرئيس الإيراني الأسبق أبو الحسن بني صدر في صراعه مع المؤسسة الدينية الحاكمة. أدى ذلك إلى تصاعد التوتر بينها وبين النظام الجديد، مما أسفر في أوائل الثمانينيات عن اشتباكات دامية مع الحكومة الإيرانية. نتج عن تلك المواجهات مقتل واعتقال أعداد كبيرة من أعضاء المنظمة، ما اضطرها إلى الانتقال إلى المنفى. واصلت المنظمة نشاطها المعارض من خارج البلاد، متبنية شعار بناء دولة "ديمقراطية إسلامية" كبديل عن نظام «الجمهورية الإسلامية»، واستمرت في حملتها ضد النظام الإيراني عبر مختلف الوسائل السياسية والإعلامية والعسكرية. (يراجع في هذا الخصوص، مجاهدو خلق، موقع الجزيرة الإلكتروني).

(٣) حسين علي منتظري (١٩٢٢-٢٠٠٩): مرجع ديني بارز وأحد الشخصيات الرئيسية في الثورة الإيرانية، شغل منصب نائب المرشد الأعلى روح الله الخميني. عُرف بانتقاداته لسياسات النظام، لا سيما عمليات الإعدام الجماعية وفضيحة "إيران كونترا"، مما أدى إلى عزله عام ١٩٨٩ ووضعه تحت الإقامة الجبرية لاحقًا. بقي صوتًا معارضًا بارزًا حتى وفاته، داعيًا إلى إصلاح نظرية ولاية الفقيه.

(٤) تأسست حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عام ١٩٨٧ مع انطلاق الانتفاضة الفلسطينية الأولى، كامتداد للفرع الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين. وتمتلك حماس جناحًا عسكريًا يُعرف باسم «كتائب عز الدين القسام»، والذي نفذ العديد من الهجمات ضد أهداف إسرائيلية، سواء داخل إسرائيل أو في الأراضي الفلسطينية، منذ تسعينيات القرن الماضي. (يراجع في هذا الخصوص، حركة حماس خلفية تاريخية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

نحو الشارع السنّي في العالم العربي عامة ولبنان خاصة، من تحريك الشارع وتحميل الدول العربية مسؤولية خذلان الشعب الفلسطيني وإظهار الموقف البطولي لجماعات إيران في الدفاع عن الشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانبه في أزمته الحالية، التي قد تجعل من إيران أسطورة حقيقية في نظر العالم المتعاطف مع القضية الفلسطينية وشعبها، وبالتالي الوصول إلى تسوية تجعل من إيران اللاعب الأساسي في الشرق الأوسط على حساب عرب الاعتدال والشعوب العربية.

حزب الله وسرديّاته لـ«حرب الإسناد» الأخيرة

يرفع الإسرائيليون من وتيرة تهديداتهم، ومحاولاتهم الضغط بأكثر من طريقة، وسط استبعاد لبناني، والحزب تحديدًا، من إمكانية توسُّع الحرب. في المقابل هناك آخرون يعتبرون أن إسرائيل لن تفتح على نفسها جبهة واسعة في لبنان، طالما أنها تعتبر الحزب لا يريد الدخول بحرب واسعة. وهي تفضِّل بقاء الوضع العسكري على ما هو عليه، لجهة تنفيذ عمليات اغتيال وتصفية كوادر وقادة ميدانيين من جهة، بالإضافة إلى السعي لتدمير كل البُنى التحتية العائدة للحزب جنوب نهر الليطاني. وهنا يعتبر هؤلاء أن إسرائيل تحقق ما تريده أو ما تفرضه من شروط. لكن في النهاية لن يكون كسبها سياسيًّا. وسيبقى «حزب الله» قادرًا على القتال وتعزيز قواه في الجنوب، وحينها سيكون الحلّ قائمًا على اتفاق أو تسوية أو مفاوضات دولية، تكون فيها إسرائيل هي الخاسر والحزب هو الرابح.

يحاول موقع «المدن» في مقال للصحافي منير الربيع، تحت عنوان «تهديدات إسرائيل وكسب الحرب في السياسة الداخلية» نُشر بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ٢٠٢٤، الوقوف على سردية «حزب الله»، مناقشة هذه القراءة التي لا تأخذ في الاعتبار حجم الخسائر الكبيرة التي يُصاب بها الحزب، لجهة الكوادر والقادة والعناصر الذين يستشهدون ويقتلون. لكنه في المقابل هو الذي سيكون مَن سيحقِّق الكسب السياسي، ولكن هذا الكسب الذي يريد توظيفه على صعيد الجبهة الخارجية يُراد منه تحقيق مكاسب من حرب غزة بالشكل، ولكن في المضمون الوصول إلى تحقيق مكاسب في الداخل اللبناني من خلال التالي:

١ - في سرديته اللبنانية سيقول إنه تحمَّل كل الأكلاف والأعباء لردع الإسرائيليين عن شنِّ حرب على لبنان، ولم يحمّل لبنان كله أثمان هذه الحرب بل تحمَّلها هو في الجنوب.

٢ - تلك السردية أيضًا ستكون هي الحاضرة في أي مفاوضات مع القوى الدولية في الجنوب، بوصف إسرائيل هي المعتدية، وأن أي حلٍّ سيكون وفق شروط الحزب.

لبنان جبهة مساندة

في الأدبيّات السياسية التي يطرحها «حزب الله» ومن خلال مراقبة خطابات أمينه العام (السابق) حسن نصرالله الذي يُصرُّ دائمًا، منذ الثامن من تشرين الأول عام ٢٠٢٣ على أن لبنان، وجنوبه تحديدًا، هو ساحة إسناد لإرباك العدو الإسرائيلي في غزة ومنعه من تحقيق أهدافه.

وهذا ما يؤكّد عليه أيضًا في كل خطاباته بعد اندلاع حرب المساندة (يمكن الاطلاع عليها مكتوبة ومسجَّلة بصوته) بأن لبنان جبهة إسناد وليس ساحة حرب ويُصرُّ على أن تبقى الحرب ضمن إطار قواعد الاشتباك كي لا يُحمِّل البيئة الحاضنة أضرارًا كبيرة هي في غنى عنها.

وفي حديث إلى قناة «الجزيرة» القطرية بتاريخ ٤ حزيران ٢٠٢٤ صرَّح نائب الأمين العام للحزب نعيم قاسم[٥]، بقيام «حزب الله» بتوسيع دائرة المواجهة عما كانت عليه سابقًا. وأوضح قاسم إن الأمر مرتبط بتصعيد الاحتلال الإسرائيلي بشكل مباشر، فإذا وسّع تلك الدائرة وسّعنا، مشدِّدا على «أن الاحتلال لا بد أن يعلم بأنه سيدفع أثمانًا عالية مع كل تصعيد».

مشاهد من تبعات «حرب الاسناد»

لكن في المقابل يؤكِّد الحزب بأنه لا يوجد نيّة لدى المقاومة بالدخول في حرب شاملة، بل من الطبيعي، لأن لبنان في أدبيات الحزب وخطابه السياسي هو ساحة إسناد للخارج، وهذا شعار رفعه الأمين العام (السابق) للحزب حسن نصرالله قبل

(٥) نعيم قاسم، من مؤسسي حزب الله، أصبح أميناً عاماً للجماعة بعد اغتيال حسن نصر الله في غارة إسرائيلية استهدفت مقر قيادة الحزب في الضاحية الجنوبية لبيروت في ٢٧ أيلول ٢٠٢٣. أعلن حزب الله في بيان رسمي في ٢٩ تشرين الأول تعيين قاسم أميناً عاماً جديداً. شغل قاسم عدة مناصب قيادية في الحزب، منها نائب الأمين العام منذ ١٩٩١، وأشرف على نشاط الحزب السياسي والانتخابي والتربوي في لبنان.

الدخـول فـي حـرب غـزة، ولكـن مـع انـدلاع «طوفـان الأقصـى» اضطُـر الحـزب لتنفيـذ شـعاره والتأكيـد علـى وحـدة السـاحات وترابطهـا. ومـع اسـتمرار المعـارك فـي غـزة كان لبنـان يقـوم بإطـلاق صليـات صاروخيـة باتجـاه الجليـل الأعلـى معتبـرًا أن هـذه الرشـقات سـتمنع العـدو مـن الدخـول إلـى غـزة، والذهـاب إلـى تسـوية، ويكـون الحـزب قـد اسـتطاع كسـب ثقـة الجمهـور المناصـر، وفـرْض نفسـه كلاعـب إقليمـي فـي المنطقـة كونـه الناطـق الرسـمي باسـم الممانعـة وهـو الأقـوى فيهـا عسـكريًّا وماديًّـا وبشـريًّا ولوجسـتيًّا.

مـن هنـا نطلـع علـى تصـوّر «حـزب اللـه» للتصعيـد فـي الجنـوب علـى المسـتويين الأمنـي والعسـكري، فـ«حـزب اللـه» اعتمـد منـذ اليـوم الأول نهجًـا واضحًـا، وهـو إبقـاء لبنـان جبهـة إسـناد لا جبهـة حـرب مفتوحـة. لذلـك يلتـزم بضربـات روتينيـة علـى المواقـع التـي أصبحـت معروفـة. فيمـا يرفـع السـقف ردًّا علـى أي عمليـة اغتيـال باسـتهداف قواعـد عسـكرية كبـرى عندمـا تدعـو الحاجـة.

أمـا علـى المسـتوى الاجتماعـي فـي الجنـوب اللبنانـي أو فـي المسـتوطنات الشـمالية، تُعلـن سـردية «حـزب اللـه» بأنـه نجـح بإقامـة تـوازن واضـح، إذ مقابل اللبنانيين الذين تهجّـروا من منازلهم، هنـاك عـدد مـوازٍ لهـم تـمَّ تهجيرهـم مـن المسـتوطنات الشـمالية لإسـرائيل. وهـذه سـابقة تاريخيـة تجعـل الحكومـة الإسـرائيلية فـي مواجهـة مشـكلة حقيقيـة، يعبِّـر عنهـا سـكّان المسـتوطنات. ولـذا فـإن المعادلـة سـتكون مرتبطـة بتسـوية أوضاع سـكان المسـتوطنات مقابـل تسـوية أوضـاع سـكان الجنـوب اللبنانـي.

لكـن مـن خـلال إطالـة عمـر الحـرب التـي قاربـت مـدة العـام باتـت القـرى الجنوبيـة التـي تعرّضـت لدمـار شـامل ونـزوح كبيـر عبئًـا علـى الحـزب؛ حيـث أصبحـت هـذه القـرى تعيـش مـرارة التهجيـر وعـدم التفكيـر بالعـودة إلـى القـرى فـي حـال تـمّ التوصُّـل إلـى هدنـة عسـكرية معيّنـة، دون التوصـل إلـى اتفاقيـة كاملـة تحفـظ للنـاس حقـوق العـودة إلـى قراهـم.

أعلن السيّد هاشم صفي الدين في ٨ أكتوبر ٢٠٢٣ أن حزب الله أرسل «رسالة تحية وشكر وتقدير على طريقة المقاومين بالنار في منطقة مزارع شبعا».

إطالـة عُمـر الحـرب شـكّلت مشـكلة جديـدة تواجـه السـردية التـي يتبّناهـا «حـزب اللـه» بأنهـا سـاحة إسـناد فـي البدايـة وثـم الدفـاع عـن لبنـان، فـي الوقـت الـذي باتـت هـذه القـرى تعاني مـن التهجير وغيـاب المسـاعدات وفقـدان العمـل وتفاقـم البطالـة، فـي الوقـت الـذي تقـوم إسـرائيل بعمليـات هـدم ممنهجـة لهـذه القـرى لتحقيق هدفيـن: الأول هـو فـرض منطقـة آمنة من خـلال التهديـم والتهجير؛ والهـدف الثانـي الـذي تحـاول إسـرائيل اسـتخدامه للضغـط على بيئة «حـزب اللـه» بـأن مصيرهـم سـيكون كمصيـر المناطـق الحدوديـة فـي حـال تـورَّط «حـزب اللـه» بالدخـول فـي حـرب شـاملة.

وفـي ظـلِّ هـذه الحالـة التـي فُرضـت علـى الحـزب مـن خـلال القـدرات الإسـرائيلية التـي باتـت تسـتخدم فيهـا التكنولوجيـات والاغتيـالات وضـرب طُـرق الإمـداد بفتـح جبهـة واسـعة امتـدت مـن البحـر الأحمـر حتـى الناقـورة فـي لبنـان مـرورًا باليمـن والعـراق وسـورية وغـزة المحاصَـرة والمدمَّـرة، والعديـد مـن التحديـات التـي أحاطـت بالحـزب مـن كل الجهـات وكأنـه بـات يشـكِّل رأس حربـة فـي المواجهـة الحاليـة؟

التحديات التي تواجه «حزب الله»

تتفاقـم التحديـات التـي يواجههـا «حـزب اللـه» بعـد أحـد عشـر شـهرًا مـن القتـال علـى طـول الجبهـة الجنوبيـة إسـنادًا لغـزة، والتي لـم تقـدِّم أي شـيء لغـزة بـل ازداد إجـرام إسـرائيل وعدوانيّتهـا.

ومـن المرجـح أن الحـزب الـذي قـرَّر، وحيـدًا، فتـح جبهـة جنـوب لبنـان، كان يعتقـد أن حـرب إسـناد غـزة قـد تسـتمر أيامًـا أو أسـابيع، لكـن تبيَّـن لـه أنـه إسـناد مفتـوح تحـوّل مـع مـرور الوقـت إلـى عمليـة اسـتنزاف لـه، لا أحـد يعلـم كـم ستسـتمر ومـا إذا كانـت سـتتحوّل إلـى حـرب موسّـعة ومدمِّـرة تشـمل كل مناطـق نفـوذه فـي لبنـان.

ولعـل أبـرز التحديـات التـي يواجههـا الحـزب، وفـق خبـراء، هـو قصـوره عـن الحـدِّ مـن عمليـات الاغتيـال المتواصلـة ضـد قياديـه وعناصـره، وكذلـك الاسـتمرار فـي القتـال مـن دون أن ينجـرَّ إلـى حـرب موسَّـعة تريدهـا إسـرائيل.

صحيفـة «الشـرق الأوسـط» التـي تصـدر مـن لنـدن أبـرز أمـام الحـزب، فـي مقالـة للكاتبـة بـولا أسـطيح، بتاريـخ ١٠ يونيـو ٢٠٢٤ وأهمهـا:

- التحـدي الأبـرز الـذي يواجهـه «حـزب اللـه» فـي مـا أسـماها «حـرب المشـاغلة والإسـناد»، هـو أن تتدحـرج المواجهـة إلـى حـرب شـاملة لا يريدهـا، باعتبـار أن مثـل هذه الحرب سـتؤدّي إلـى تغييـر كبيـر لا يمكـن تقديـره أو توقُّـع «تداعياتـه».

- إن «الانكشاف الأمني تحدٍّ أساسي آخر يواجههالحزب»، خصوصًا وأن وقائع المواجهة الجارية كشفت عن قدرة إسرائيلية غير مسبوقة على قتل عدد كبير من كوادر الحزب الأمنية والعسكرية والتقنية، بشكل يُظهر حجمًا من الانكشاف الأمني له لم يكن متوقّعًا.

- التحدي الثالث، وهو سياسي ومعنوي، يتمثّل في إعادة ترميم الثقة التي تصدّعت في نفوس مؤيّديه، لا سيما الذين اطمأنوا إلى أنه قادر على لجم أي عدوان إسرائيلي على القرى والبلدات الحدودية التي تعرّضت لتدمير هائل خلال الأشهر الماضية. وهو ما جعل كثيرين يُعيدون النظر والتفكير مليًّا بعد الحرب في ما إذا كانوا يعمدون إلى القيام باستثمارات جديدة في البناء أو المشاريع الاستثمارية، فضلًا عن الاستقرار مجدَّدًا في الجنوب، باندفاع، كما كانت الحال بعد عام ٢٠٠٠ وحرب عام ٢٠٠٦.

ولكن مع اغتيال القائد العسكري في الحزب فؤاد شكر[٦] في الضاحية الجنوبية وفي نفس اليوم اغتيل المسؤول السياسي في حركة «حماس» إسماعيل هنية[٧] في طهران بات الردّ المنتظَر يشكل تحدّيًا رابعًا للحزب ولإيران وباقي المحور.

وبالرغم من الخطاب الأخير للأمين العام (السابق) حسن نصرالله في كلمته الأخيرة في ذكرى مرور أسبوع على اغتيال شكر كان خطابه ضعيف جدًا، وقد أخرج إيران وسوريا من الردّ ووضَع نفسه والحزب ولبنان في مواجهة إسرائيل.

من تشييع فؤاد شكر

ما حدود ردّ المحور الإيراني على الاغتيالات السياسية؟

إن عملية اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» إسماعيل هنية تحديدًا في طهران، وليس أي مسؤول إيراني، شكّلت حدثًا كبيرًا لأنه يُنظر إليه كضيف وليس مواطنًا إيرانيًّا، وطهران لن تدخل حربًا من أجله، فالمتوقّع أن تحدث تسويات كبيرة؛ خاصة وأن هنية بعد حضوره حفل تنصيب الرئيس الإيراني المنتخَب مسعود بزشكيان، اغتيل مع مرافقه، تحديدًا في مكان إقامته وفي غرفة نومه، هي لم تكن عملية اغتيال عادية، ولكن هناك أدلّة مثبتة ومرتبطة تشير إلى أن الموساد الإسرائيلي هو مَن قام بتنفيذ هذه العملية، حيث بات من المؤكد أن الوصول إلى هنية في عقر النظام الإيراني رسالة واضحة إلى الجميع أننا نستطيع أن نصل إلى حيث نريد وإلى مَن نريد. وهو ما قاله نتنياهو أمام الكونغرس الأميركي وحدّده في تنفيذ عمليتين مهمتين: الأولى ضد فؤاد شكر، المسؤول العسكري والرجل الثاني في «حزب الله» وفي عقر دار الحزب في الضاحية الجنوبية.

نتنياهو يعرف أن أي تحرّك إيراني سيُلاقى بالمثل، وأن أميركا لن تترك إسرائيل وحدها في الحرب ولن تتقبّل الاعتداء على هذا الحليف. هذا ما قاله وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن في تصريح له شدّد فيه على عدم ترك إسرائيل وحدها إذا تعرّضت لأي هجوم، بعدها تحرّكت السفن الأميركية تجاه السواحل اللبنانية.

لقد صرح نتنياهو أن: «إيران هي المسؤولة عن عملية اغتيال هنية، والتي توضح أن الاختراقات في داخل الجسم الإيراني، وأن من قدَّم هنية للموساد الإسرائيلي هو من الداخل الإيراني وهذا يعني أن البلاد مخترقة أمنيًّا بشكل كامل».

ويضيف: «إن عَقد اجتماع موسَّع للمجلس الأمني الأعلى الإيراني بحضور المرشد خامنئي، يدل على أن القضية كبيرة، وكيفية التعامل معها وإمكانية ابتلاع الضربة لأن هنية لن يكون أغلى من قاسم سليماني قائد فيلق القدس السابق، الذي اقتصر الرد على اغتياله على إطلاق صواريخ على قاعدة عين الأسد في العراق».

(٦) فؤاد شكر، المعروف أيضًا باسم «سيد محسن»، قيادي عسكري بارز في حزب الله اللبناني وعضو في مجلس الجهاد، وُلد عام ١٩٦١ في بلدة النبي شيت. كان مستشارًا عسكريًا لحسن نصر الله، ومطلوبًا للولايات المتحدة وإسرائيل لدوره في هجمات بارزة، منها تفجير ثكنات مشاة البحرية الأميركية عام ١٩٨٣. في ٣٠ تموز ٢٠٢٤، أعلنت إسرائيل اغتياله في غارة جوية استهدفت مبنى في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث وصفه وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت بأنه "رئيس أركان جيش حزب الله"..

(٧) إسماعيل هنية، قيادي بارز في حركة حماس ورئيس مكتبها السياسي منذ ٢٠١٧، وُلد عام ١٩٦٢ في غزة بمخيم الشاطئ. شغل منصب رئيس الحكومة الفلسطينية بعد انتخابات ٢٠٠٦ حتى إقالته عام ٢٠٠٧. في ٣١ تموز ٢٠٢٤، أُعلن اغتياله في العاصمة الإيرانية طهران إثر عملية إسرائيلية استهدفت مقر إقامته.

وأشار نتنياهو إلى رغبة إيران في التفاوض مع الولايات المتحدة موضحًا: «يجب أن نضع في الاعتبار أن إيران كانت تُرسل رسائل إلى الولايات المتحدة الأميركية عبر الرئيس الفرنسي وبأنها جاهزة للتفاوض مع واشنطن، كما أنها تعرف أن الردّ على إسرائيل لن يمكّنها من الحصول على أي مكاسب تريدها من الولايات المتحدة، لذلك في الغالب ستنتهي هذه العملية كما انتهت عمليات سابقة راح ضحيتها قادة مثل قاسم سليماني ومحسن فخري زادة وأسماء أخرى».

نفّذ نتنياهو عملية اغتيال هنية وهو يريد حشر إيران في الزاوية وجرَّها إلى حرب فعلية لضربها في عقر دارها والحصول على الغطاء الغربي لهذه الضربة، كما أن التصريحات والتهديدات الإيرانية تأتي من أجل شدِّ العصب الداخلي وشدِّ عصب ما يُسمى بـ(محور الممانعة).

بالرغم من الانتظار المقلِق من الرأي العام لما سيقوم به المحور من ردٍّ على الكيان الإسرائيلي، بدا واضحًا للجميع بأن التريُّث بالردِّ والتفاهم على الضربة ونوعية الأهداف وأماكن التنفيذ يُدرس مع الجانب الأميركي، كما حصل في الضربة الأولى في ١٤ نيسان (٢٠٢٣) الماضي. ألّا أنن الجانب الأميركي راح يضغط على الطرفين لعدم جرِّ المنطقة إلى حروب خاسرة للجميع؛ وبالتالي فإن مصلحة إيران هي مع الجانب الأميركي، لأن الخلاف الفعلي ليس على القضية الفلسطينية وإنما على توزيع النفوذ الجيوسياسي في المنطقة.

كان معلومًا أن الرد الإيراني يجب أن يَحسب جيدًا الضربات، لأن أي ردٍّ من أميركا وإسرائيل سكون مدروسًا بدقّة ومتّفق عليه، وهذه قواعد الضربة، لأن إيران غير معنية بقادة أو حشود شعبية ولا فصائل سنّية أو فلسطينية أو شيعية، بل إنها تعتبر وتتصرّف على أن مسألتها القومية فوق كل اعتبار، ولذلك فإن مسألة البرنامج النووي والتفاهم مع الغرب يمرُّ على أجساد كل الذين يقبعون في المحور الإيراني.

توجهات «حزب الله»

تشير كل الدراسات والأبحاث وأدبيات «حزب الله» والمقاومة الإسلامية في لبنان إلى أنه حزب سياسي إسلامي شيعي مسلّح مقرّه في لبنان، تأسس عام ١٩٨٢، وهو جزء من محور المقاومة الذي تقوده إيران ضد الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائهما في الشرق الأوسط. يقوم الحزب على الأيديولوجية الخمينية ومبدأ ولاية الفقيه. الجناح العسكري لـ«حزب الله» هو مجلس الجهاد، وجناحه السياسي كتلة «الوفاء للمقاومة» ممثلّة بنوابها في البرلمان اللبناني. وبعد اغتيال عباس الموسوي، أمين عام الحزب في عام ١٩٩٢، تـرأس الحزب حسن نصر الله، الأمانة العامة.

يشير موقع «الجزيرة نت» في كتاباته بتاريخ ١ من تشرين الثاني عام ٢٠٢٣ إلى ما يلي: «بأن «حزب الله»، أو كما يُعرف محليًّا بـ«المقاومة الإسلامية» في لبنان، هو كيان سياسي شيعي مسلَّح، تأسّس في مطلع الثمانينات من القرن العشرين على يد رجال دين وسط الحرب الأهلية اللبنانية التي دامت ١٥ عامًا.

وقد اكتسب وجوده من مناهضة النفوذ الغربي في الشرق الأوسط، و تصدّيه للقوات الإسرائيلية، خاصة بعد اجتياح بيروت عام ١٩٨٢.

وعزّز الحزب مكانته السياسية والعسكرية بإجباره الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من الجنوب اللبناني في أيار ٢٠٠٠، وإلحاقه تهديدًا كبيرًا به، مع خسائر وُصفت بالفادحة في تموز ٢٠٠٦.

وانتقل الحزب من العمل كمجموعة مسلحة تقاتل ضد إسرائيل إلى حزب سياسي يشكل جزءًا من المشهد السياسي في لبنان، وينشط جناحيه السياسي والعسكري داخل البلاد ويشارك في الانتخابات اللبنانية، ويُسيطر بقيادة أمينه العام حسن نصر الله على جزء كبير من المناطق ذات الأغلبية الشيعية، بما في ذلك أجزاء من العاصمة بيروت».

عقيدته

مشروع الحزب هو جعل لبنان جزء من إيران وكان قائده حسن نصرالله قد قال في أحد خطاباته: «مشروعنا الذي لا خيار لنا أن نتبنّى غيره، كوننا مؤمنين عقائديين، هو مشروع دولة إسلامية وحكم الإسلام، وأن يكون لبنان ليس جمهورية إسلامية واحدة وإنما جزء من الجمهورية الإسلامية الكبرى، التي يحكمها صاحب الزمان ونائبه بالحق، الولي الفقيه الإمام الخميني».

حزب الله تنظيم حديدي عقائدي وعسكري

لقد سبق «حزب الله» كعقيدة فكرية دينية، وجودٌ فكري وعقائدي قبل هذا التاريخ، في هذه البيئة الفكرية كان لمحمد حسين[٨] فضل الله دور في تكوينها من خلال نشاطه العلمائي في الجنوب. وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ بقيادة الخميني دافعًا قويًّا لنمو «حزب الله»، وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين.

وقد جاء في بيان صادر عن الحزب في ١٦ شباط ١٩٨٥: أن الحزب «ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسّد في ولاية الفقيه، وتتجسّد في روح الله آية الله الموسوي الخميني مفجِّر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة».

معظم أفراد الحزب هم من اللبنانيين الشيعة المرتبطين مذهبيًّا، بمرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي[٩] حيث يعتبرونه واحدًا من أكبر المراجع الدينية العليا لهم، ويُعتبر حسن نصرالله، الأمين العام لحزب الله، الوكيل الشرعي لعلي خامنئي في لبنان. هذا الارتباط الأيديولوجي والفقهي بإيران سرعان ما وجد ترجمته المباشرة في الدعم السريع والمباشر من الجمهورية الإسلامية وعِبر حرسها الثوري للحزب الناشئ. (يراجع في هذا الخصوص كتاب: تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، إصدار «أمم»).

الحرس الثوري الايراني

وبظلِّ ممارسة الحزب العمل السياسي والخدماتي بات يفتش دائمًا عن حلفاء من الطوائف الأخرى، لأنه يريد غطاء من مكوّنات ومذاهب أخرى كي يعطي لعمله العسكري والسياسي شرعية، بالرغم من تشريع وجوده العسكري في بيانات الحكومات السابقة على ثلاثية: تحالف الجيش والشعب والمقاومة، ولكنه لم يستطع نَيل الشرعية التي كان يطمح إليها. يحاول الحزب منع أي حركة سياسية أو فكرية في الطائفة الشيعية ليُبقي نفسه المسيطر على القرار السياسي والفكري والخدماتي مما يُعرقل نهوض أي معارضة شيعية في ظلِّ سطوَة السلاح ووجود حلفاء له يقومون بتغطية أفعاله تحت مبدأ الميثاقية الدستورية التي تُخترق دائمًا من قِبله لصالحه وصالح إيران؟

دائمًا ما يشدِّد الحزب على القول «نحن في لبنان لسنا حزبًا مغلقًا تنظيميًّا ولسنا إطارًا سياسيًّا ضيّقًا، بل نحن أمّة ترتبط مع المسلمين في أنحاء العالم برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام. وإن الحدّ الأدنى الذي يمكن أن نقبل به على طريق تحقيق هذا الطموح هو إنقاذ لبنان من التبَعية للغرب أو للشرق، وطرد الاحتلال الصهيوني من فلسطين نهائيًّا واعتماد نظام يقرِّره الشعب بمحض اختياره وحرّيته».

وحدة الساحات

إن مصطلح أو مفهوم «وحدة الساحات» أو «محور المقاومة» والذي يتمّ تداوله في السنوات الأخيرة بين القوى المقاوِمة في فلسطين ولبنان ودول أُخرى، وذلك لفهم أبعاد ومدلولات هذا المفهوم ومدى انطباقه على أرض الواقع عمليًّا، لا سيما بعد معركة «طوفان الأقصى»، يورد قاسم قصير في كتابه الصادر باللغة الانكليزية عن «مركز الدراسات الفلسطينية» في عام ٢٠٢٣ أنه «ممكن القول إن مصطلح «وحدة الساحات» تمّ إطلاقه بعد معركة «سيف القدس» التي بدأتها حركة «حماس»

(٨) رجل دين شيعي جنوبي، كانت بدايته في النجف بالعراق، ثمَّ عاد عام ١٩٦٦ إلى لبنان. وهو من دُعاة الإسلام الحَرَكي، فقام بحركة تحت دائرة التوعية السياسية بالحوار مع التيارات المختلفة، وخصوصًا اليسارية منها. بدأ عملًا مؤسّساتيًّا، واشتغل على تأهيل رجال الدين ليقوموا بدورهم في المشروع السياسي الاجتماعي، متأثّرًا بالإيراني روح الله الخميني. فأسّس المعهد الشرعي الإسلامي عام ١٩٦٦، وأصبح لعدد من خرّيجيه شأن في الحركة الإسلامية الشيعية في لبنان، ومنهم الشيخ راغب حرب والسيد حسن نصرالله، الأمين العام لـ «حزب الله» حاليًا. كما ترك فضل الله الأثر الكبير فكريًا ودينيًا في البيئة الشيعية أولًا، ثمَّ في بيئة «حزب الله» خلال فترة الثمانينيات، إلى درجة بات يُوصف بأنه مرشد الحزب الروحي. ورغم اعتقاد فضل الله بضرورة أن يكون للشيعة مجلس في فسيفساء المجالس المِلّيَّة في لبنان، إلا أنه كان يفكر أن مثل هذه التأسيسات التي أفرزها النظام الطائفي في لبنان ستكون عائقًا يحول دون توحّد السنة والشيعة في مجلس واحد. ولذلك، لم يحضر جلسة الانتخاب بعد إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وقال: «لن أنتخب بفتح الهمزة ولن أُنتخب بضمّ الهمزة». (يراجع في هذا الخصوص كتاب: تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، إصدار «أمم»).

(٩) علي خامنئي هو سياسي وعالم دين إيراني، ولد في ٨ سبتمبر ١٩٣٩ في مشهد، وشارك في الثورة الإيرانية ضد الشاه محمد رضا بهلوي. آمن بفكرة ولاية الفقيه وأسهم في وصول الإمام الخميني إلى السلطة، حيث أصبح المرشد الإيراني بعد تعديل دستوري في عام ١٩٨٩. تم وصفه بأنه كان من أبرز المعنيين بتوجيه الثورة الإيرانية. (يراجع في هذا الخصوص: علي خامنئي.. مرشد الثورة الإيرانية بعد الخميني، موقع الجزيرة الإلكتروني).

في شهر مايو من سنة ٢٠٢١ دفاعًا عن المسجد الأقصى، وردًّا على الانتهاكات الصهيونية للمسجد ومحاولة إزالة حيّ الشيخ جرّاح في القدس».

ويشدّد مركز «الزيتونة» التابع لـ«حركة حماس» الإسلامية في لبنان والذي قدّمه صالح الحاج حسن في أيار عام ٢٠٢١ على هذا المصطلح من خلال عرض بحثي يسرد لأهمية المصطلحات، في دراسة قدّمها وتمّت ترجمتها، فيشرح هذا المصطلح بصورة واضحة على أرض الواقع، عبر إطلاق الصواريخ من قطاع غزة وجنوبي لبنان وسوريا، مع ارتفاع وتيرة عمليات المقاومة في الضفة الغربية، واندلاع مواجهات في عدّة مناطق في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٤٨. وقد اعترف بعض المعلّقين الإسرائيليين بواقعية هذا المصطلح.

وبعد معركة حركة «الجهاد الإسلامي»[١٠] في نيسان من سنة ٢٠٢٣ والتي انتهت بوقفٍ لإطلاق النار. وعلى الرغم من عدم مشاركة حركة «حماس» فيها فقد قال الصحافي الإسرائيلي يوني بن مناحم: «إن مهاجمة إسرائيل بالصواريخ، خلال عيد الفصح من قطاع غزة وجنوب لبنان، ليست سوى المرحلة الأولى في حرب الاستنزاف من جانب «محور المقاومة» بقيادة إيران، عبر استخدام استراتيجية «وحدة الساحات».

إذنً، إن محور «وحدة الساحات» يُقصد به عمليًّا تحريك عدة ساحات أو جبهات في الوقت نفسه ضد العدو الإسرائيلي حتى لو بدأت المعركةَ إحدى حركات المقاومة لأسباب تعنيها. وهذه الساحات تشمل قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان والجولان السوري والعراق واليمن، وأحيانًا يشارك فيها فلسطينيو أراضي سنة ١٩٤٨.

أمّا مصطلح «محور المقاومة» فقد أطلقه بدايةً الأمين العام لـ«حزب الله» حسن نصرالله وعدد من المسؤولين الإيرانيين وقادة الحزب، وبعض وسائل الإعلام المؤيّدة لهذا المحور (قناة «الميادين» وجريدة «الأخبار» وقناة «المنار»). ويمكن الاطلاع في موقع تلفزيون «الميادين» على مقال مطوّل للصحافي محمد نادر العمري عن ترويج المصطلحات والذي نُشر بتاريخ ٦ تموز ٢٠٠١، حيث يحاول إعلام الممانعة المذكور تسويق تلك المصطلحات كونها من أدبيات «حزب الله» والمحور المؤيّد له.

إن مصطلح «محور المقاومة» هو أوسع من مصطلح «وحدة الساحات» لأنه يضمُّ إيران والنظام في سوريا، وقد يشمل أطرافًا أُخرى من دول أُخرى. وهو برعاية «فيلق القدس»[١١] التابع لـ«الحرس الثوري» الإيراني. وقد أشرف على تطويره وتنظيمه القائد السابق للفيلق اللواء قاسم سليماني، ومهمات هذا المحور الدفاع عن دول وقوى المقاومة في كل المنطقة، ولا تشمل مهماته القضية الفلسطينية فحسب.

وبحسب المعلومات من مصادر قوى المقاومة في لبنان، فإن هناك تنسيقًا وتعاونًا بين كل قوى المقاومة في المنطقة، وتمّ إنشاء غرفة عمليات مشتركة في السنوات الماضية، وهناك نشاطات مشتركة على صعيد التدريب وتبادل الخُبرات. وقد نجح «حزب الله» وإيران في إعادة ترتيب العلاقة بين حركة «حماس» والنظام في سوريا خلال السنتين الأخيرتين بعد أن سادت بينهما خلافات بسبب موقف الحركة من الربيع العربي والتي اتخذت فيه الحركة موقفًا مناهضًا للنظام في سوريا، الأمر الذي جعل الكثير من المراقبين يؤكّدون عودة العلاقة القوية بين «حماس» ومحور المقاومة. ويُعقد في بيروت وطهران العديد من اللقاءات التي تجمع قادة المقاومة، وخصوصًا بين الأمين العام لـ«حزب الله» حسن نصرالله والأمين العام لـ«حركة الجهاد الإسلامي» زياد نخالة وقادة حركة «حماس»، وأحيانًا بمشاركة مسؤولين إيرانيين. (يُراجع في هذا الخصوص كتاب: «شيعة لبنان والفلسطينيون»، تاريخ مشترك و«قضيّة» تُستثمر، إصدار «أمم»).

قائد الحرس الثوري متوسطًا نائب الأمين العام لحزب الله واسماعيل هنية. المصدر، الجزيرة

(١٠) حركة الجهاد الإسلامي هي إحدى أبرز الفصائل الفلسطينية المسلحة، وهي ثاني أكبر جماعة مسلحة في قطاع غزة بعد حماس. تأسست الحركة في عام ١٩٨١ بدعم من إيران، التي تمولها وتزودها بالأسلحة والخبرة العسكرية، كما تدير الحركة مقرات في بيروت ودمشق. ورغم تعاونها المتكرر مع حماس في عمليات مشتركة ضد إسرائيل، إلا أن هناك تباينًا في الأهداف السياسية والأيديولوجية بين الحركتين.

(١١) فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني هو الوحدة المسؤولة عن تنفيذ العمليات العسكرية خارج حدود إيران. تأسس الفيلق بعد الحرب الإيرانية العراقية في عام ١٩٨٩، بهدف دمج العمليات الخارجية في وحدة مركزية. شهدت قيادته تغييرات كبيرة بعد مقتل قاسم سليماني في ٢٠٢٠، حيث تولى إسماعيل قاآني القيادة، وتم تعيين محمد رضا فلاح زاده نائبًا له في ٢٠٢١. فيلق القدس هو المسؤول عن تنفيذ استراتيجيات إيران في مناطق مثل سوريا ولبنان والعراق، ويتميز بتعيين قادة من ذوي الخبرة الطويلة في الحروب الإقليمية، مما يجعل من الصعب التمييز بين المسارات المهنية للقادة في الحرس الثوري والفيلق. (يراجع في هذا الخصوص: مسيرة تطوّر «فيلق القدس» الإيراني منذ عام ١٩٧٩، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى).

حركة حماس

في ٧ أكتوبر (تشرين الأول)، بدأت «حماس» تحرُّكًا عسكريًّا لأول مرة باستراتيجية «المواجهة المباشرة والمستمرة»، قبل أن تنكمش وتيرة عملياتها إثر حرب إسرائيلية غير مسبوقة شنّتها عليها، ودخلت مرحلة «حرب الكمائن» المستنِدة على دعم لوجيستي من شبكة أنفاق معقّدة.

انطلاقًا من هذه العملية التي نفّذها الجناح العسكري في «حماس» الموالي لإيران والمرتبط بالحرس الثوري الإيراني حيث كانت المفاجآت الكثيرة بعدم أخذها في الاعتبار ردّ الفعل الإسرائيلي ولا الغربي، حيث ظهر ذلك مع بدء توغّل إسرائيل في مدينة رفح الفلسطينية، اعتمدت خلاله «حماس» على أسلوب الكرّ والفرّ، ونصْب الكمائن، واستخدام القنابل بدائية الصنع، وتجنّب المناوشات المباشرة كما فعلت مع بداية الحرب، لا سيما مع خسارة نصف مقاتليها، من ٢٠ إلى ٢٥ ألفًا، وفق ما نقلته «رويترز» عن مسؤولين أميركيين وإسرائيليين مطّلعين في ٦ حزيران ٢٠٢٤.

فلسطين مثلّت التقارب بين إيران و«حزب الله» و«حماس»

لقد حصل التقارب الحمساوي الإيراني بعد الخلافات العلنية إبّان الحرب في سوريا، لعدم قتال جماعة «حماس» الى جانب نظام الأسد كونهم يدورون في فلك جماعة الإخوان المسلمين العالمية[١٢]، فحصل الطلاق بين «حماس» مع سوريا و«حزب الله».

لكن البراغماتية الإيرانية استطاعت الفصل الفعلي بين فلسطين وغزة والحروب في الدول العربية من خلال فتح الأبواب مجدّدًا أمام الحركة حيث استطاع الحرس الثوري قلب موازين القوى داخل «حماس» لصالح الجناح العسكري ومجموعات يحيى السنوار[١٣] ومحمد الضيف[١٤] وآخرين لصالح إيران.

إندلاع الحرب

لقد عاد التقارب الفعلي بين «حزب الله» و«حماس» والتنسيق بينهما، حيث تشير المعلومات بأن صالح العاروري قد أخبر حسن نصرالله بحدوث العملية أي «طوفان الأقصى» في مقره مرتديًا بدلة عسكرية، وأطلق محمد الضيف تصريحه الشهير في ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣ بدعوة واضحة في الساعة الثانية عشرة ظهرًا إلى حلفاء المحور والممانعة: «لقد آن الأوان بالدخول إلى فلسطين فالعدو يعاني من انحلال». وكان الضيف مطلوب منه إطلاق الإعلان هذا الذي أصبح خطابًا مقدّسًا لثوار الممانعة. لكن موقف إيران السريع الذي تخلّى عن «حماس» بعد تصريحات وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن بعدم وجود تورّط إيراني بهذه العملية. وكان الأميركي دفع بالإيراني سريعًا للإعلان عن عدم تورّطها من خلال إيجاد مخرج لها. لقد استجاب الخامنئي سريعًا في خطابه الذي ألقاه في اليوم التالي بأنهم لم يعلموا ما خططت له «حماس» وما هي الدوافع التي كانت وراء هذه العملية، بالرغم من التأكيد الإيراني على أن هناك صلة كبيرة تربط إيران مع الحركة ودعمها عسكريًّا ومعنويًّا وماليًّا.

بعدها كان تصريح خالد مشعل الذي خاطب فيه إيران بقوله «إننا خُذلنا في غزة من قِبل الصديق قبل الغريب»، وكان يوجّه سهامه نحو إيران التي كانت المسبب في هذه العملية. ولم يشكر إيران على هذا الإنجاز التاريخي لـ«حماس» والمحور بل ذهب أكثر بأن عزا الفضل في تطوير سلاح «حماس» للعقول العراقية وللمساعدات العربية.

لكن مع إطالة حرب غزة وقوة التدمير المعنوية والبشرية لشعب غزة وصمود أبناء غزة الأسطوري الذي حاولت «حماس» الاستفادة منه وتجييره لحساباتها الخاصة بأنها انتصرت إلى جانب المحور، ليتبيّن أن فالصمود شيء والانتصار شيء آخر.

(١٢) جماعة الإخوان المسلمين هي تنظيم إسلامي تأسس في مصر عام ١٩٢٨ على يد حسن البنا، بهدف «إحياء النهضة الإسلامية». توسعت الجماعة لتصبح حركة إقليمية وعالمية، إذ نشأت فروع لها في العديد من البلدان مثل الأردن والمغرب وفلسطين ولبنان، حيث فصلت بين النشاط السياسي والدعوي. لعبت الجماعة دورًا بارزًا في السياسة المصرية والعالمية، وفي ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، شاركت الجماعة في الاحتجاجات.

(١٣) يحيى السنوار (١٩٦٢-٢٠٢٤) قيادي فلسطيني. ولد في مخيم خان يونس، قضى ٢٣ عامًا في السجون الإسرائيلية. عام ٢٠١٥ عينته حركة حماس مسؤولا عن ملف الأسرى الإسرائيليين لديها، وكلفته بقيادة المفاوضات بشأنهم مع الاحتلال الإسرائيلي، وفي السنة نفسها صنفته الولايات المتحدة الأميركية في قائمة «الإرهابيين الدوليين»، كان قائدًا لحماس في غزة ولعب دورًا محوريًا في التخطيط لهجمات « ٧ أكتوبر» وفي ٢٠٢٤ أصبح رئيسًا للمكتب السياسي للحركة بعد اغتيال إسماعيل هنية. قتل في ١٧ أكتوبر ٢٠٢٤ خلال اشتباك مع الجيش الإسرائيلي في رفح. (يراجع في هذا الخصوص: يحيى السنوار أسير محرر قاد حركة حماس واستشهد في مواجهة مع الاحتلال، موقع الجزيرة الإلكتروني).

(١٤) محمد الضيف (١٩٦٥)، القائد العام لكتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، والمطلوب الأول لإسرائيل منذ أكثر من ثلاثة عقود. نشأ في مخيم خان يونس، ونجا من عدة محاولات اغتيال، إحداها أفقدته إحدى عينيه. وفي ١ آب ٢٠٢٤، أعلنت إسرائيل تأكيدها اغتياله بعد استهدافه في منطقة المواصي بغزة في ١٣ تموز ٢٠٢٤. اشتهر بلقب «الشبح» بسبب سرّيته الشديدة، ويُعتبر العقل المدبّر لعمليات عسكرية كبرى، أبرزها هجوم «طوفان الأقصى» في ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣.

تشير صحيفة «الشرق الأوسط» من خلال استطلاعات رأي للخبراء أجراه الصحافي محمد الريس في ٣٠ تموز ٢٠٢٤ إلى أن معركة «طوفان الأقصى» التي أشعلتها «حماس» مع إسرائيل، قبل ٩ أشهر(١١ شهرًا)، قد لا تكون «آخر الحروب»، وإن كانت قد أضعفت قدرات الحركة عسكريًّا، وأثّرت بشكل لافت على خطوط الإمداد ودفعها لنقل العمليات القتالية إلى «حرب مدن».

بالرغم من مشاركة «حزب الله» في حرب الإسناد، ودفع الحوثي لتسجيل بطولات وهمية وسدّ منافذ البحر والتي تتضرّر منها الدول العربية وتحديدًا مصر، وكذلك دفع الحشد الشعبي العراقي للانخراط بهذه الجبهة المفتوحة التي خرج منها السوري بغطاء روسي واضح لأن الروسي يرى بأن أي أخطاء يرتكبها النظام السوري ستكون قاتلة للنظام نفسه.

لكن الذي اتضح هو أن الحرب التي تديرها إيران تسير وفقًا لمشروعها وتوجّهاتها الخاصة والتي تؤمّن لها الأذرع شراكة كبيرة في المنطقة. من هنا نرى انخراط «حزب الله» في هذه المعارك بشراسة كونها تخدُم الأجندة الإيرانية مما دفعه لخوض «حرب إسناد» في جنوب لبنان بقرار إيراني، لكن استمرار الحرب دفعه للتفتيش عن غطاء من المكوّنات اللبنانية، فكان التوجّه نحو الحصول إلى غطاء سنّي في لبنان.

من طوفان الاقصى

العلاقة مع المكوّنات اللبنانية

إن علاقة «حزب الله» مع المكوّنات اللبنانية صعبة جدًا نتيجة التباين الواضح مع الجميع لجهة المشروع والرؤية للدولة والعلاقة مع باقي المكونات والجوار، لكن «حزب الله» ينطلق في تعامله مع تلك المكونات بحسب الحاجة لها وفي كيفية تأمين غطاء له ولمشروعه القائم على نشر فكره في لبنان وجعله جزء من الجمهورية الإسلامية الإيرانيةن وهذا ما يؤكده الحزب وأمينه العام في خطاباته وأدبياته القائمة على السيطرة الجزئية على المناطق من خلال تعبئة الفراغ العقائدي والأمني والعسكري في لبنان. ومن هنا إذا حاولنا مراجعة خطاب نصرالله الشهير في منتصف الثمانينات من القرن الماضي الذي يرى فيه بأن لبنان هو جزء من الثورة الإيرانية، وعندما وُجِّه له السؤال في الفترة الحالية كان جوابه التأكيد على كلامه ولكن الذي تغيّر أنه استخدم كلمة «الإقناع»، وهذا يعني بأن الحزب لا يزال يعمل للسيطرة على الدولة، وإلحاقها بإيران من خلال السيطرة على الطائفة الشيعية، وبعدها مدِّ الجسور مع المكوّنات اللبنانية لإخضاع هذه المكوّنات لسيطرته من خلال بناء حلف الأقليات المدعوم من إيران. ومن هنا يرى الحزب أن السيطرة على «الساحة» اللبنانية سيكون عندها قادرًا على ربط لبنان بمحورالممانعة حيث باتت إيران موجودة على شاطئ المتوسط بواسطة «حزب الله» الذي يُعتبر رأس الحربة لها على المتوسط وعلى الحدود مع «فلسطين المحتلة». وفي العام ٢٠١٨ أعلن سليماني حرفيًّا إنّ «حزب الله بات يملك ٧٤ نائبًا في البرلمان الجديد، وإنّ الاتّجاه الآن إلى تشكيل حكومة مقاومة»، لكن في العام ٢٠٢٢ وفي الانتخابات الأخيرة تقلّصت كتلة «حزب الله» في البرلمان، كما كتب خيرالله خيرالله في موقع «أساس ميديا» الالكتروني بتاريخ ١ حزيران ٢٠٢٢، ولم يعد «حزب الله» يتحكّم بالبرلمان بل بات يعطّل فقط، وهذا ما أثبته في عدم قدرته على إيصال مرشحه سليمان فرنجية للرئاسة في لبنان.

الموقف اللبناني الرسمي من الحرب

استطاع «حزب الله»، بثقله العسكري وقدراته الحزبية والمادية وتحالفاته، أن يفرض سياسته على الدولة اللبنانية من خلال دفعها لتبنّي طروحاته وتعميم مواقفه السياسية الأخيرة عن طريق البعثات الدبلوماسية وتصريحات وزير الخارجية اللبناني الذي راح يطرح توجهات الحزب ومطالب الحزب وخاصة لجهة دور لبنان كونه يساند غزة، مروّجًا مقولة الحزب بأنه إذا أوقّفت إسرائيل حربها في غزة، فإن جبهة لبنان سوف تهدأ».

إذا حاولنا استعراض الزيارات الدبلوماسية الغربية وكافة مبادراتها التي كانت تتوجه إلى عين التينة، حيث منزل الرئيس نبيه بري[١٥]، من أجل مناقشته ومفاوضته والذي بات يُعتبر المركز الأساسي في إدارة الدولة بظلِّ عدم انتخاب رئيس للجمهورية وفراغ مركزه. وهذا ما يؤكده الصحافي يوسف دياب في صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ ٢١ حزيران ٢٠٢٤ في مقالته بعنوان: «جنوب لبنان والقرار ١٧٠١ تطبيق جزئي وانتكاسات واسعة».

إذن، فالرئيس بري بات المفاوض الذي يفاوض الوحيد باسم لبنان من خلال موقف «حزب الله» وكأن الدولة هي صندوق البريد مع الخارج، لكن مع تطور الأوضاع وتصاعد التوتر وسيطرة غيوم الحرب على المشهد كان خطاب الأمين العام لـ«حزب الله» حسن نصرالله الذي أشار بأن الدولة مكلّفة بإيجاد الحلول والحزب سوف ينفذ المقترحات، وهذا يعني بأن الحزب بات ينتظر مخرَجًا له من الحرب من قِبل الحكومة اللبنانية وهي في وضع تصريف الأعمال.

حكومة ميقاتي

الحكومة وحركتها الدبلوماسية

حركة دبلوماسية مكّوكية يقوم بها وزير الخارجية اللبنانية في تبنّي المواقف المتّفق عليها مع الحزب. وبدوره صرح الوزيرعبد الله بو حبيب بتاريخ ٨ كانون الثاني ٢٠٢٤ إلى وكالة «الاناضول» التركية بأن «لبنان مستعد لتنفيذ القرار الدولي ١٧٠١ «بحذافيره»، شرط انسحاب إسرائيل من أراضيه المحتلة، ووقف خروقاتها لسيادته جوًّا وبرًّا وبحرًا».

وأضاف: «أبلغنا الجميع (المسؤولين الدوليين) عبر البعثات الدبلوماسية والمؤسّسات الدولية بأننا على استعداد لتنفيذ القرار ١٧٠١ بحذافيره، أي أنه يجب العودة إلى خط الهدنة لعام ١٩٤٩، مما يعني انسحاب إسرائيل من كافة الأراضي اللبنانية وأن توقف خروقاتها البرية والبحرية والجوية».

وشدد بو حبيب على أنه إذا طُبّقت هذه الأمور، فإنه «ليس لدى لبنان أي مشكلة، وهذا ما تبلّغه الحكومة اللبنانية للجميع».

وفي هذا السياق أشار الوزير اللبناني إلى أن الولايات المتحدة أوكلت إلى (مندوب الرئيس جو بايدن إلى الشرق الأوسط لشؤون الطاقة) آموس هوكستاين، متابعة الأوضاع في لبنان». وعاد الوزير ليؤكّد كلامه في شهر آب من العام ٢٠٢٤ بأن الدولة اللبنانية معنية بتطبيق القرار الدولي. (يمكن العودة إلى تفصيل طرح تنفيذ القرار وتفاصيله على موقع الخارجية اللبنانية).

أما مواقف المكوّنات اللبنانية فباتت مختلفة في تعاملها مع «حزب الله» وفي الموقف من الحرب التي أطلق عليها تسمية «مساندة غزة» من خلال التالي:

أولًا: الموقف المسيحي

لا يزال المسيحيون بشكل عام يرفضون إدخال لبنان في حرب يدفع ثمنها لبنان ويكون شعبه وقودًا لحروب الآخرين على أرضه. وهذا الموقف تؤكّده كل الكتل النيابية والشخصيات المستقلّة وحتى البطريركية المارونية، لأن فتح الحدود الجنوبية أمام الأحزاب الفلسطينية والميليشيات الأخرى سيُضعف لبنان ويُصبح معرّضًا للحرب، وبالتالي لا يريدون تكرار تجربة سابقة للعمل الفلسطيني، والتي سمحت لهم اتفاقية القاهرة في العام ١٩٦٩ باستباحة الأراضي اللبنانية وأصبحت مناطق الجنوب يُطلق عليها «فتح لاند»[١٦] تيمُّنًا بحركة "فتح"، ما سمح بإسقاط هيبة الدولة وسيطرة الميليشيات على الجنوب وإدخال لبنان بحرب ما زالت مستمرة حتى اليوم. فالسماح بدخول «حماس» إلى الجنوب وإطلاق القذائف الصاروخية من أراضيه سيُعرِّض لبنان لحرب مواجهة جديدة خدمة لمشاريع خارجية على حساب الدولة والمواطن، لهذا ترى الأحزاب المسيحية نفسها غير معنية بالحرب بالرغم من اقتناعها الكامل بأن الشعب الفلسطيني ضحية لسياسات خارجية وفي الإمكان تطبيق حلّ الدولتين الذي هو الحل الفعلي.

(١٥) نبيه بري، سياسي لبناني. ابن تبنين الجنوبيَّة، ومواليد سيراليون في أفريقيا، تخرّج من كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية وأكمل دراساته العليا في فرنسا. كان إلى جانب السيّد موسى الصدر في «حركة المحرومين» وانتُخب رئيسًا لحركة أمل عام ١٩٨٠. شغل عدة مناصب وزارية، منها وزير الموارد المائية والكهربائية ووزير العدل. يشغل منصب رئيس مجلس النواب اللبناني منذ عام ١٩٩٢، حيث شهد المجلس في عهده العديد من الإشكالات المتعلقة بانتظام عمله، أبرزها الإغلاق المتكرر للمجلس الذي أثار جدلًا سياسيًا ودستوريًا واسعًا. (يراجع في هذا الخصوص كتاب: تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، إصدار «أمم»).

(١٦) «فتح لاند» هو مصطلح أُطلق على منطقة قرى العرقوب في جنوب لبنان بعد أن سيطرت منظمة التحرير الفلسطينية عليها وأصبحت قاعدة أساسية للعمل الفدائي الفلسطيني بعد توقيع اتفاق القاهرة عام ١٩٦٩ الذي منح «المقاومة الفلسطينية» حرية العمل المسلح انطلاقاً من الأراضي اللبنانية، خصوصاً في الجنوب، ما أدى إلى نشوء «دولة داخل الدولة»، حيث أدار الفلسطينيون المنطقة بمعزل عن السلطات اللبنانية. هذا الوضع أثار صدامات مع الجيش اللبناني وتوترات داخلية كبيرة ساهمت في تأجيج الصراعات التي أدت لاحقاً إلى الحرب الأهلية اللبنانية.

ثانيًا: الموقف الشيعي الرسمي

يمكن التفريق بين الموقف الشيعي الوطني وبين الثنائية الشيعية التي باتت تتحكَّم بكل مفاصل الحياة للطائفة محاولة اختصارها بتمثيلها في الدولة والمؤسّسات وأخذها في اتجاهات مختلفة، عكس تفكير الطائفة الشيعية في الانتماء الوطني والارتباط بالامتداد العربي. من هنا تظهر الهوّة الفعلية في فهم العلاقة الجدَلية بين الشيعة وثنائية السلاح التي تسيطر على أغلبية الشيعة وتعتبرهم أحجار شطرنج بيدها تحركهم كيفما تشاء وتستخدمهم كما تريد وفقًا لمصالح وأجندة إيرانية واضحة. من هنا نرى بأن ثنائية السلاح كانت جاهزة للتحرك وفتح الجبهة رهن الإشارة كونها جزء من مشروع إيراني خارجي .

وفي ثنائية السلاح تلتقي حركة «أمل» مع الحزب على أن الحرب يمكن أن يساعد الحركة باستنهاض شعبيتها وعدم دفعها للذهاب نحو توجّهات «حزب الله». لذلك كانت الحركة تزايد في مواقفها وفي تبنّيها للحرب من أجل تسجيل مواقف شعبية وشدّ عصب شعبيتها وبالتالي هي تريد البقاء في كنَف الدولة التي تؤمِّن لها السيطرة والاستفادة فقط وليس الالتحاق بالمشروع الإيراني.

حركة أمل وحزب الله

ثالثًا: موقف المستقلين الشيعة

قد يكون التمثيل الشيعي المستقلّ هو الأوسع كما في التقسيمات التي تُمارس على الأرض لكن قُدرات الحزب العسكرية والمالية والارتباط بمؤسّسات الدولة وجعل الحصص المرتبطة بالمذاهب أو الكوتّا من نصيبه، فيؤدي ذلك إلى تهميش الكتلة الشيعية المستقلة التي تنادي بالدولة وبسط سلطتها وهي ضد المشاريع الخارجية، كونها جزء من النسيج اللبناني المرتبط بالمحيط العربي. وهذه الكتلة التي تملك قدرات فكرية وعقلية وتعليمية ولها نفوذ في بلاد المهجر والدول العربية، لكن دورها محيّد وممنوع عليها بلورة كتلة فاعلة في المجتمع اللبناني، لأنها تمثِّل التهديد الحقيقي لمشروع «حزب الله» وولاية الفقيه. وهذه الكتلة التي تطالب الدولة ببسط سيطرتها على كافة الأراضي اللبنانية وإعادة تفعيل دور العمل المؤسساتي في إدارة الدولة هي التي تقارع «حزب الله» وترفض حروبه بقوة وهي تتصدّى لأعماله ومغامراته غير المحسوبة. لكن كما يُقال في لبنان «العين بصيرة واليد قصيرة». وهنا ينشط الكُتّاب والسياسيون المستقلون في عملية الاعتراض السياسي والإعلامي والفكري بالرغم من كل التهديدات والممارسات القمعية التي يتعرّضون لها من البيئة الحاضنة للحزب.

لم يعد سرًّا أن طموح إيران هو بناء دولة قومية فارسية في إعادة لحُلم الامبراطورية الفارسية التي لا يكتمل بناءها إلّا بالسيطرة على العراق وسورية ولبنان، وبالتالي إقامة هلال نفطي يُؤمِّن لإيران التواجد على المتوسط والمنافسة العالمية، وهذا المحيط الذي يساعد الدولة الفارسية من خلال استخدام الشيعة العرب، وحُلم مقاتلة إسرائيل لبعض السنّة التي لا يوجد جيوب شيعية لها في مجال الطاقة والحروب على مصادرها، وبالتالي نسيان مشكلة العرب. لذلك تعمل إيران على تفتيت العالم العربي حيث إنها تتواجد الآن في عواصم ست دول عربية كما أشار إلى ذلك أحد المسؤولين الإيرانيين. والهدف هو إقامة كيان شيعي فارسي، وسط كتلة سنّية كبيرة في العالم العربي والإسلامي. وهذا الطرح يُناسب الغرب وهو الذي يسعى دائمًا لحماية أمن إسرائيل، فهذا التفتيت سيساعد الغرب على إيجاد دويلات إثنية ومذهبية بجوار إسرائيل، حيث تصبح إسرائيل أمرًا واقعًا، مع استخدام الشيعة العرب في حروبها الإعلامية والعسكرية والمذهبية لـ«مقاتلة الكفّار وحماية المقدّسات» من وجهة نظر ولاية الفقيه، وبالتالي سيكونون جنودها في القتال ضد الآخرين، بمواجهة السنيّة التي يمكن اختراقها تحت شعار مقاتلة إسرائيل. وبهذا التوجّه تستطيع إيران اختراق العالم العربي لخدمة إيدولوجيتها.

فإذا حاولنا النظر إلى وضع «حزب الله» في هذه الحرب التي طال أمدَها وأصبحت حرب استنزاف وضعته في مأزق من خلال الحرب الدائمة وكلفتها وكذلك في علاقته مع المكوّنات اللبنانية الأخرى التي باتت تشكّل له أزمة فعلية، كحال بيئته الحاضنة، ما دفع الحزب للتفكر بإيجاد غطاء فعلي لهذه الحرب كي لا تُعتبر مذهبية بل هي وطنية وإسلامية، فكان التوجُّه نحو الطائفة السنّية من أجل أدخالها في مشروعه عن طريق هذه الحرب الذي يخوضها تحت

شعار مناصرة فلسطين وشعب غزة، فكان الردّ السنّي عاطفيًّا دون التفكير في مضمون وطبيعة هذه الحرب التي يتبلور أساسًا موقف سنّي لها من حرب غزة والقضية الفلسطينية.

السرديّة السنّية للحرب؟

لقد طرأ على المشهد السنّي تغيير واضح نتيجة حرب غزة الأخيرة والتي أصبحت حرب إبادة تشنها إسرائيل ضد الشعب العربي الفلسطيني الأعزل في غزة والضفة الغربية، ما دفع الجميع بالوقوف ضد هذا التوجُّه حيث بدأت تظهر التحولات في المواقف السنّية بين مؤيِّد للانخراط في الحرب والداعم لـ«حزب الله» المدعوم من إيران وبين الجهة الأخرى التي تطالب بأن على العالم وقف الحرب سريعًا والذهاب إلى تسوية دائمة على أساس إعادة إحياء مبدأ الدولتين وفقًا للقرارات الدولية وبحسب توجّهات دول الاعتدال العربي.

وفي هذا الإطار ظهرت شخصيات سنّية مستقلة وإعلاميون وحقوقيون ودبلوماسيون ونواب سابقون وسياسيون في لبنان تعلن بأنها لا تريد الانخراط في الحرب العسكرية وأن الحرب لا يمكن أن تخدم غزة وأهلها بشيء وأيضًا عدم إعطاء الأولوية لغزة على حساب القضية الفلسطينية التي تتعرَّض لأزمة فعلية بسبب التدخّل الإيراني فيها وجعلها ورقة من أوراقها لتحقيق مشاريعها والتفاوض عليها.

الأحزاب السنّية الموالية لـ«حزب الله»

استطاع «حزب الله» أن يُنشئ حالة شعبوية سنية مؤيِّدة له في حربه ضد إسرائيل و«مساندته» لأهل غزة منذ بدء عملية «طوفان الأقصى» التي أشعلتها حركة «حماس» وانخرط فيها الحزب في اليوم التالي لبدء إسرائيل في حرب الإبادة ضد غزة، وهي تتكوَّن من الاحزاب التالية:

أولًا : استمالة «الجماعة الإسلامية»[١٧]

تُعتبر الجماعة الإسلامية في لبنان جزء من حركة الأخوان المسلمين في العالم، لكن علاقتها بـ«حزب الله» اتّسمت بالتوتّر والتنافس، إذ إن كل طرف كان يسعى إلى تحقيق أجندته الخاصة، مع اللفت إلى أنه لا يوجد بينهما توافق استراتيجي طويل الأمد. فالعلاقة المتوتّرة كانت على خلفية الحرب في سوريا وتدخُّل «حزب الله» وإيران ضد ثورة الشعب السوري لمصلحة حليفهم بشار الأسد.

ومع اندلاع عملية «طوفان الأقصى» في غزة أعلنت «قوات الفجر» الجناح العسكري للجماعة عن انخراطها في الحرب الدائرة في الجنوب عبر عملية إطلاق صواريخ على شمال فلسطين في ١٨ تشرين الأول ٢٠٢٣، بالتزامن مع عمليات تسلُّل لـ«سرايا القدس» الجناح ا»عسكري لحركة «الجهاد الإسلامي»، وعمليات إطلاق صواريخ من قِبل حركة «حماس» جناح لبنان. ومعلوم أن عمليات إطلاق الصواريخ من منطقة تقع تحت سيطرة «حزب الله» تأتي بالتنسيق معه، حيث لا يمكن لأي كان القيام بأي نشاط عسكري في الجنوب لقوى الممانعة إلا بإذن منه.

وتشير سوسن مهنا في مقالتها في صحيفة «الاندبندنت عربية» التي تصدر في لندن تحت عنوان «'الجماعة الإسلامية' في لبنان من الإغاثة إلى الحرب» بتاريخ ٢٣ تموز ٢٠٢٤ إلى أن فرع تنظيم «الإخوان» يُقاتل إلى جانب «حزب الله»، ويوجد عدد كبير من مقاتليه ينتمون إلى حركة «حماس» كـ«أذرُع خيرية». حيث تصدَّرت المشهد السياسي اللبناني عقب قيام عناصرها بعرض عسكري في ببنين بقضاء عكار شمالي البلاد، في نيسان الماضي. ووفقًا لسامر زريق، الكاتب المتخصِّص في شؤون الإسلام السياسي فإن صالح العاروري، القيادي الحمساوي الذي اغتالته إسرائيل في قلب الضاحية الجنوبية لبيروت مع عدد من مساعديه، أسهم بشكل كبير في تعزيز القُدرات العسكرية لـ«قوات الفجر».

من تشييع القيادي في قوات الفجر محمد جبارة، المصدر العهد نيوز

(١٧) الجماعة الإسلامية في لبنان هي حركة إسلامية سنية تأسست رسميًا عام ١٩٦٤ في طرابلس على يد الشيخين فيصل مولوي وفتحي يكن. تأثرت الجماعة بأفكار جماعة الإخوان المسلمين ورموزها في مصر وسوريا، وتعد الفرع اللبناني لهذه الجماعة. وفقًا لأدبياتها، تهدف إلى «حماية القيم الإسلامية والفرد في المجتمع» وتسعى إلى بناء مجتمع إسلامي وتنظيم أتباع الدعوة. ورغم بدايتها كمؤسسة اجتماعية ودعوية، تطورت الجماعة إلى قوة سياسية وعسكرية بارزة في المشهد اللبناني، لا سيما بعد تأسيس جناحها المسلح «قوات الفجر»، الذي لعب دورًا أساسيًا في العمليات العسكرية المرتبطة بـ«حرب الإسناد» التي أطلقها حزب الله في جنوب لبنان. (يراجع في هذا الخصوص: الجماعة الإسلامية في لبنان.. من جماعة إغاثية إلى حركة مقاومة ضد إسرائيل، موقع الجزيرة الإلكتروني)

إن دخول الجماعة إلى ساحة المعارك أعطى الحزب ضوءًا أخضر لاختراق الساحة السنّية بشكل أوسع والعمل في راحة تامة لجهة التجنيد والبروباغاندا والتحرك بسهولة.

ثانيًا: سرايا المقاومة

«سرايا المقاومة»[١٨] هي تشكيل عسكري شبه نظامي تابع لـ«حزب الله»، وتُعتبر جزءًا من استراتيجيته لتعزيز قوته داخل لبنان وخارجه، وتُستخدم في أدوار عدّة منها الأمنية والعسكرية والاجتماعية، وتتألّف من أفراد من خارج الطائفة الشيعية، ما يجعلها وسيلة الحزب للتوسُّع والتغلغل في مختلف الطوائف اللبنانية، وتعزيز وجوده في مناطق ليست مؤيِّدة له. وهذا ما حاولت عرضه سوسن مهنا في صحيفة «الإندبندنت عربية» الصادرة في لندن، بتاريخ ٩ تموز ٢٠٢٤ تحت عنوان: «"سرايا المقاومة اللبنانية" ستارة "حزب الله" الداخلية» فكتبت: «بهذا التشكيل المسلّح يُسمح له باختراق البيئات اللبنانية الأخرى التي عمل عليها لعدة سنوات من خلال استحضار تشكيل "السرايا"».

لكن لا بد من القول إن تحريك «حزب الله» لتشكيل «سرايا المقاومة اللبنانية» جاء بعد ضعف تأثير«الجماعة الاسلامية» في الحرب المستمرة، وداخل المناطق السنيّة في الشريط الفاصل مع فلسطين وخصوصًا بعد تلقّيها عدة ضربات موجعة من العدو الصهيوني أدّت إلى تسجيل أعداد من الشهداء لم يكن على بنود المواجهة، فـ«الجماعة الإسلامية» غير مجهّزة عددًا وعدّة من الناحية التدريبية واللوجيستية لخوض مثل هذه الحرب، إضافة الى العديد من النصائح التي قُدِّمت إليها بأن هذه الحرب لن تأتي لمصلحتها ومصلحة فلسطين ولبنان وليس لمصلحة أهل السنّة والجماعة تحديدًا، بل هي ستكون لصالح إيران.

حركة التوحيد تشارك في تشييع مقاتلين من السرايا اللبنانية، المصدر حركة التوحيد الاسلامي

ثالثًا: القرى السنّية الحدودية

تُعتبر العرقوب منطقة استراتيجية مهمّة للمواجهة مع إسرائيل، ولا تزال تحمل نقاطًا خلافية معها لم تُحلّ بعد والمفترض حلّها بالتسوية القادمة، والقائمة على ترسيم الحدود ونقاط خلافية أخرى بالإضافة إلى الطبيعة الجغرافية والديموغرافية التي يعوّل الحزب على إثبات وجوده فيها من خلال استقدام مجموعات لبنانية وفلسطينية سنيّة للإمساك بها بكل قوة وتأثير في مناخ المنطقة السكنية من ناحية والابتعاد عن المواجهة أمام السكان والدولة و«اليونيفيل» من ناحية أخرى، والادّعاء بأنّ هذه المجموعات من المنطقة ومن أهل السنّة الذين يؤمّنون لها الحماية والغطاء، وأما المسؤولية فتقع على الدولة في ضبطها.

لذلك، يريد الحزب أن يكون عمله في هذه المنطقة بإعطاء شرعية لمواجهته من خلال الحاضنة الشعبية السنّية من جهة، وإشراك مجموعات سنية في المعركة من جهة أخرى.

ومن هنا نرى بأن فتح معارك الإسناد من لبنان بدأ من قرية الضهيرة وياريـن ومروحين ذات التواجد السنّي، وكان الهدف الأساسي منها القول بأن القرى السنّية تشارك بشراسة في الحرب، وكي لا يظهر بأن إطلاق الصواريخ ينطلق من قرى شيعية فقط لأن التواجد السنّي وطبيعة المعارك يلزمها إسناد سنّي. بالإضافة إلى السماح للعنصر السنّي القادم من المناطق الأخرى ولقوات «حماس» التي شكّلت طلائع مساندة غزة و«الجهاد الإسلامي» والأحزاب الفلسطينية بممارسة العمل في الجنوب برضاه، ولكنه أمام الجميع يُظهر أن هذه القرى بيئة حاضنة للأحزاب السنّية وهو غير مسؤول عن استقدام هذه العناصر وعلى الدولة اللبنانية مسؤولية حماية المنطقة وعدم اختراقها من قِبل هذه المجموعات في تخلٍّ واضح عن مسؤوليته؟

رابعًا: مشايخ أهل السنّة

أن تسمع شيخًا أو داعيةً سلَفيًا، سواء في مدينة طرابلس أو شمال لبنان أو البقاع الغربي أو حتى في بيروت يُسمّي «حزب

(١٨) «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» هي تشكيل مسلّح أعلنه الأمين العام السابق لـ«حزب الله»، حسن نصرالله، في تشرين الثاني ١٩٩٧. لا يُلزم هذا التشكيل المنتسبين إليه بتبني الأيديولوجيا الدينية لـ«حزب الله». نفّذت «السرايا اللبنانية» أولى عملياتها في ١٤ آذار ١٩٩٨. بعد عام ٢٠٠٠، تراجع دورها الميداني بشكل ملحوظ، لكنها عادت إلى الواجهة في سياق الصراعات الداخلية، لا سيما في المناطق ذات الأغلبية السنية في لبنان. في الآونة الأخيرة، شاركت السرايا في بعض العمليات المحدودة على جبهة الجنوب اللبناني، إلا أن دورها العسكري اعتُبر رمزيًا وغير مؤثر مقارنة بالقوات الأساسية لـ«حزب الله». (يراجع في هذا الخصوص كتاب: تاريخ شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول، إصدار «أمم»).

الله» بـ«المقاومة»، أو يصف عناصره بـ«المجاهدين» بعد كل الذي جرى في سوريا طيلة أعوام من التناحر المتبادَل بين الفريقين، لا بدّ أن يكون حدثًا استثنائيًا لحظة تحوّل مهمّة بصرف النظر ما إذا كانت ظرفية أم لا.

لقد استحوذ «حزب الله» على مجموعة من الشيوخ السنّة للحصول على تأييد واضح للعمل المقاوِم الإسنادي الذي يؤدّيه «حزب الله» من جنوب لبنان نُصرةً لغزة، وتسمع عبارات رضى حول الأداء اليمني في البحر الأحمر وما يخلّفه من إرباك للسفن المتّجهة نحو إسرائيل، في مقالة نُشرت للصحافي عبدالله قمح على موقع «لبنان ديبايت» الإلكتروني بتاريخ ٨ آذار ٢٠٢٤ بعنوان «مشايخ سلفيون: "لبيك حزب الله"». وبدأت هذه الحالة تظهر منذ بدء الاعتداءات الإسرائيلية التي طالت كل صغيرة وكبيرة في غزة، أخذ مشايخ ودُعاة «سلفيون» ينشطون بكثرة، في القاعات والمساجد، للتعبير عن حالات تضامن مع غزة، والسعي إلى خَلق أكبر إطار تضامني معها، ومتناغمين مع نُظرائهم من مشايخ يتبعون لدار الفتوى، وحّدوا خطاباتهم في اتجاه تخصيصها في مجال تناول الجرائم الإسرائيلية ضمن حيّز أوسع من ذلك المُعتمَد في مقاربة القضايا المحلية، والتذكير دومًا بالتخلّي «العربي والإسلامي عن المسلمين في غزة»، فيما بعضهم وصل إلى حدّ توجيه انتقادات حادة لدول عربية وإسلامية معيّنة نتيجة تخلّفها عن «إنقاذ المسلمين».

حيث ظهر مفتي زحلة والبقاع الشيخ علي الغزاوي في خطبة بالمشيّعين، أثناء تشييع أحد مقاتلي «الجماعة الاسلامية» حيث شهَر الغزاوي سلاحه، وتوجّه به ناحية إسرائيل بالقول: «في أرضنا لن يرشَّ على العدو ورد، بل إما الخروج وإما هذا (سلاحه)»، وفي المقابل يقول إمام جامع الإمام علي « لن يكون السنّة في لبنان خنجرًا يطعن خاصرة «حزب الله» في حربه مع الكيان بل نحن معه وندعمه حتى النهاية، وإذا تمّ تهجيرالمواطنين من الجنوب فمكانهم قلوبنا إذا لم تتّسع لهم بيوتنا».

من تشييع القيادي في قوات الفجر محمد جبارة، المصدر العهد نيوز

خامسًا: حركة المشاريع الإسلامية (الاحباش)[١٩]

«الأحباش»: مصطلح واسع الانتشار، جغرافيًّا وثقافيًّا، إلّا أن الكثيرين لا يعرفون الكثير عن أصوله وبداية ظهوره، وهو ما أفقَده بعض تأثيره وحضوره، رغم النفوذ السياسي القوي الذي يتمتّع به في البلدان التي يتغلغل فيها حتى تحوّل إلى رقم صعب في المعادلة الثلاثية (السياسة – الاقتصاد – الأيديولوجيا).

لـ«لأحباش» علاقات قوية مع الثنائية الشيعية، ورغم التوتّر في العلاقات بينهما أحيانًا والذي وصل إلى حدّ الاشتباك والعنف بين الأنصار هنا وهناك، فإن العلاقات في معظمها دافئة تميل للتناغم والتوحُّد في مواجهة التيارات الإسلامية السنّية الأخرى، حتى اتهم البعض «الأحباش» بأنهم ذراع الشيعة في لبنان رغم عباءاتهم السنّية التي يزعمون ارتداءها.

في بيان لافت من جماعة «الأحباش» نشر موقع «أيوب» الإلكتروني على صفحة تعليق سياسي بتاريخ ٤ آب ٢٠٢٤ ووزّع بشكل واسع ويتحدّث عن تشكيل «قوات الشهيد القائد نزار الحلبي» العسكرية وتدريبها على يد «حزب الله»؟ لكن نفي جمعية المشاريع الذي شرح فيه بأنه في ظلِّ الأوضاع الحساسة التي تمرّ بها منطقتنا تنبّه «جمعيةُ المشاريع الخيرية الإسلامية» من كثرة انتشار الأخبار «المفبركة» والإشاعات التي تؤدّي إلى إحداث اضطرابات، بهدف إثارة الفتن وزعزعة التماسك الوطني. كما وأنها تهيب بوسائل الإعلام على أنواعها وبمواقع التواصل الاجتماعي عدم نشر أيّ خبر يتعلّق بها قبل الرجوع إلى إدارة الجمعية وصفحاتها الرسمية التي هي الجهة الوحيدة التي تعبّر عن مواقفها.

لكن لا بدّ من القول بأن «جمعية المشاريع» تمتلك مجموعات عسكرية مدرّبة ولها قواتها العسكرية المخيفة التي شهدناها في منطقة برج أبي حيدر بين «حزب الله» و«الأحباش» بتاريخ ٢٤ تشرين الأول عام ٢٠١٠ بالرغم من التحالف بينهما لكن «الأحباش» سجّلوا تفوّقٍ عالٍ في السيطرة والقيادة فهل هذا سيكون مساعدًا لهم لإحياء التنظيم العسكري مجدّدًا من بوابة الجنوب.

(١٩) جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، أو «الأحباش»، هي جماعة إسلامية لبنانية تأسست عام ١٩٨٣ ويرأسها اليوم الشيخ حسام قراقيرة. تتبع المذهب الصوفي الرفاعي وتعارض الفكر السلفي والإخواني. للجمعية حضور ملحوظ في الانتخابات النيابية والبلدية اللبنانية، وخاصة في بيروت، وقد أسست شبكة من المؤسسات التعليمية والخدمية في لبنان وخارجه. ورغم الاتهامات بعلاقتها بنظام آل الأسد في سوريا، تسعى الجمعية لتوسيع نفوذها السياسي وتنقية صورتها في الشارع السني، مع التركيز على الأنشطة الاجتماعية والتربوية. (يراجع في هذا الخصوص لأحباش: عين على الوسط السني وصلة سابقة بالأسد وحزب الله، موقع عربي ٢١ الإلكتروني).

سادسًا: حركة «ناصر للعمل»

إن المواجهة التي يخوضها الحزب مع النائب أسامة سعد في إطار الخلاف بين نائب صيدا و«حزب الله» منذ العام ٢٠٠٨ حيث يتوقّف زياد عيتاني في مقاله في موقع أساس ميديا» الإلكتروني بعنوان: «الحزب وأسامة سعد تصفية حسابات لحساب الجماعة»، بتاريخ ٢٠ آب ٢٠٢٤، لقد بدأ الخلاف فعليًّا يتصاعد تدريجيًّا وصولًا إلى عدم السماح لـ«حزب الله» بزجّ مقاتلين صيداويين في مواجهة حركة الأسير. وعلى إثر اندلاع ثورة ١٧ تشرين في عام ٢٠١٩ ووقوف أسامة سعد وصيدا إلى جانب الثورة والثوار وتحميل المسؤولية لطبقة السلطة بات التنظيم يُعاني من انشقاق واضح من خلال مجموعة غير صيداوية يقودها النائب العرسالي ملحم الحجيري والدكتور علي الحرّ من جباع الجنوبية وآخرين يتبنّون سياسة الحزب الواضحة حاولوا تأسيس حركة سنّية في صيدا بتاريخ ١٧ آب ٢٠٢٤ بدعم من «حزب الله» مباشرة من أجل إخضاع أسامة وصيدا لطاعة «حزب الله» وفتح المجال أمام حركة «حماس» و«الجماعة الإسلامية» للسيطرة على المدينة، فكانت المدينة وشارعها السنّي والوطني بشكل خاص بالوقوف بوجه هذه الحركة غير المُجدية سوى توسيع الهوّة مع «حزب الله»؟

سابعًا: الرأي العام السنّي

لا بدّ من القول بأن حضور «حزب الله» في البيئة السنّية هو حضور متأرجح تحكمه المصالح الآنية وليس الثوابت الفعلية لأن السنّة يفكرون بعاطفتهم وهم مرتبطون بفلسطين عقائديًّا و قوميًّا ومذهبيًّا وما يفعله الاحتلال بغزة فعليًّا يؤلم الجميع، فالسنّة تاريخًا إلى جانب القضية الفلسطينية حتى ولو على حساب قضيتهم وعلى حساب بلدهم فالسنّي يتفاعل نتيجة الحدث وبالتالي يمكن أن ينجرَّ عاطفيًّا مع الفلسطينيين، وهذا ما يخدم «حزب الله» والتوجّه الإيراني، لذلك السنّي في حالة من الوجع وعندما يستنهض لن يكون إلى جانب إيران وأن يسلك مشاريعها على حساب الكتلة السنّة ودول الاعتدال لأنه جزءًا من هذه الكتلة التي تربطه بها مصالح مالية واقتصادية ومذهبية ودينية ولغوية.

غياب القيادة السنّية

بعد انسحاب الرئيس سعد الحريري من العمل السياسي عام ٢٠٢٢ وافتقاد الطائفة السنّية زعامتها، جدّد «حزب الله» محاولاته باتجاه البيئة السنّية من بوابة الخدمات والمساعدات بالتزامن مع تدهور الوضع الاقتصادي والمعيشي. وتمدّد الحزب نحو شخصيات وبلديات ومؤسّسات ومخاتير وفعاليّات خصوصًا في الشمال، وبات التعاطي معه مقبولًا على قاعدة حزب لبناني يقدّم المساعدات، فهل ينجح في هذا التصرف؟

إذا حاول «حزب الله» الدخول إلى قلب الكتلة السنّية مستغلًّا حرب الأقصى والفراغ السنّي والوجع السنّي من خلال زعامة سنّية ذات كاريزما فاعلة في الوسط السنّي لكنه لم يجد هذه الزعامة لكنه التجاء فعليًّا إلى شخصية الملثّم والشهير بأبي عبد الغزاوي الناطق الرسمي باسم «حماس» حيث بات الجميع ينتظر خطاباته وكأنه أحمد سعيد مصر، أيام حكم جمال عبدالناصر، وقد انتشرت صوَره الكبيرة في مناطق التواجد السنّي في لبنان لأنهم يحاولون تقديمه كرمز. وبالمناسبة مناطق تواجد «حزب الله» لم تنتشر هذه الصوَر.

تحاول دنيز رحمة في مقالها في صحيفة «الاندبندنت عربية» الصادرة بتاريخ ٩ آب ٢٠٢٤ بعنوان: «"حزب الله" في البيئة السنّية حضور متأرجح تحكمه المصالح» وذلك لأن «علاقة «حزب الله» لا تُعتبر جيّدة مع الطائفة السنّية منذ اغتيال الشهيد رفيق الحريري و٧ أيار٢٠٠٧ في بيروت، إضافة إلى اندلاع الحرب في سوريا ومشاركة الحزب فيها دفاعًا عن النظام، ومشاركته أيضًا في حرب الحوثيين في اليمن و«الحشد الشعبي» في العراق، فباتت الطائفة تنظر إلى الحزب بعين الحذَر بالرغم من محاولاته المستمرة الدخول إلى البيئة السنّية بتقديم الخدمات المالية والمساعدات الاجتماعية المختلفة، ورغم كل هذا لم ينجح أبدًا في الوصول إلى إنهاء هذا الخلاف وإبعاد السنّة عن بيئتهم ومحيطهم المرتبط بدول الاعتدال العربي.

من هنا نرى موقف النواب السنّة الضعيف حيث بات هذا الموقف يراعي توجّهات الشارع ويتماشى معه وكأنه يُساير الرأي العام لأن الماكينة الإعلامية لمحور الممانعة أثّرت على عقولهم نتيجة الترابط مع القضية الفلسطينية، حيث بات يُعلن بأن «حماس» انتصرت على إسرائيل وهذا التوجه يساعد «حزب الله» في جذب البيئة السنّية إلى صفّه ويقدّم نفسه بأنه المُناصر الفعلي لهذه البيئة وبالتالي النواب في أزمتهم خوفًا على مصالحهم وتأمين علاقة جيدة مع الناخب السنّي تمهيدًا للانتخابات المقبلة، كما نرى أن هناك نواب سنّة كُثر لا يختلفون في طرحهم عن طرح «حزب الله»، وهم إلى يمين الحزب.

فمن هنا نرى أن الحزب يحاول بكل الوسائل ممالأة الطائفة السنّية لكسب ودِّها من جهة وتشكيل حلف إلى جانب السنّة مؤيّدًا لإيران في وجه الآخرين. من هنا يُطرح السؤال المهمّ: كيف يستخدم «حزب الله» الغطاء

السنّي في الداخل اللبناني، فالحزب الذي شارك في حرب البوسنة وأفغانستان كانت لديه أهداف واضحة في مقاتلة أميركا من خلال هذه الجبهات المشتعلة بطريقة سرّية، ولكن في العام ٢٠١٣ بدأ الحزب من خلال تصريحات الأمين العام حسن نصرالله بالإعلان عن مشاركة الحزب بهذه المعارك. ولكن عند اغتيال «أبو طالب» سامي عبدالله الذي اغتيل بتاريخ ١٣ حزيران ٢٠٢٤ أعلن نصرالله بمناسبة مرور أسبوع على وفاته بأنه كان مقاتلًا في البوسنة، وعند اغتيال فؤاد شكر أقرّ الحزب، بتاريخ ٣ آب ٢٠٢٤ بأنه كان قائد المجموعات التي قاتلت في البوسنة، فما هو السبب الذي دفع بالحزب للإعلان عن مشاركته، إلى جانب الحرس الثوري، في الدفاع عن أهل السنّة في البوسنة؟ هل بات يتوسّل إليهم للمشاركة في حرب الجنوب لنُصرة غزة والتأثير على الدول العربية ودفع جماهير تلك الدول للعمل على تفشّي الفوضى في دولهم، وهل يطلب المقايضة بأننا قاتلنا إلى جانبكم في البوسنة وأفغانستان ويجب أن تؤمّنوا لنا الغطاء في حربنا الحالية؟ وهل يعني أن الحزب يحاول أن يقول للسنّة إن ما حدث في سوريا والعراق واليمن يجب أن لا تنسوه لأن المشكلة اليوم مع العدو الإسرائيلي ويعمل ضمن نظرية بوش القائلة «مَن كان مع غزة فهو معنا ومَن هو ضدها فهو ضدّنا».

القيادي في حزب الله أبو طالب، صورة وزعها الاعلام الحربي في حزب الله حول دور أبو طالب في حرب البوسنة

الخاتمة

لا بدّ من القول بأن حرب غزة كانت مغامرة إيرانية في إطار الضغط على أميركا من خلال الصراع الداخلي كما قوّضت الانتخابات الرئاسية اللبنانية، واستغلالًا لوجود جبهتين مشتعلَتين عسكريًّا وسياسيًّا، الأولى حربية في أوكرانيا مع روسيا والثانية باردة مع الصين في تايوان، فكانت إيران تظنّ بأن الحرب في غزة سوف تنتهي سريعًا وتخرج منتصرة منها بالشروط التي تخوّلها من جديد أن تكون لاعبًا أساسيًّا في المفاوضات مع أميركا على مشاريعها الخاصة.

لكن إطالة عمر الحرب واستنزاف إيران وحلفائها جعلها تضعف تدريجيًّا حيث خسرت ورقة «حماس» التي كانت تحاول الضغط من خلالها. بات الطرفان ينظران إلى الحرب كلٍّ من منظوره الخاص، فالإسرائيلي يعمل على إضعاف «حماس» واستسلامها وبالتالي يمكنه تحقيق النصر على حساب جُثث الفلسطينيين، أما «حماس» فكانت ترى بأن مزيدًا من القتل والدمار سيجعل إسرائيل مأزومة في الخارج حيث يُفرض عليها إنهاء الحرب بسبب الضغط لتخرج «حماس» منتصرة؟

إذن، كل التسوية التي كانت تطمح إليها إيران هي الوصول إلى جوائز عديدة من خلال فتح حرب «طوفان الأقصى» لإعادة البحث في ملف مشروعها النووي مع أميركا والاعتراف بنفوذها في منطقة الشرق الأوسط بالإضافة الى تأمين انتصارات وهمية لأذرعها لإبقائها أكياس رمل لحماية مشاريعها القومية والتوسعية.

العناصر والقادة الذي نعتهم «الجماعة الاسلامية» في ظل «معركة حرب الاسناد»

١- محمد بشاشة، قُتل في الغارة التي استهدفت الشيخ صالح العاروري في ضاحية بيروت الجنوبية بتاريخ ٢ كانون الثاني ٢٠٢٤.

٢- محمود شاهين، قُتل في الغارة التي استهدفت الشيخ صالح العاروري في ضاحية بيروت الجنوبية بتاريخ ٢ كانون الثاني ٢٠٢٤.

٣- محمد رياض محيي الدين، قُتل في غارة استهدفته في خراج بلدة الهبارية بتاريخ ١٠ آذار ٢٠٢٤.

٤- حسين هلال درويش، قُتل في غارة استهدفته في خراج بلدة الهبارية بتاريخ ١٠ آذار ٢٠٢٤.

٥- محمد جمال إبراهيم، قُتل في غارة استهدفته في خراج بلدة الهبارية بتاريخ ١٠ آذار ٢٠٢٤.

٦- مصعب سعيد خلف، قُتل في غارة استهدفته في منطقة البقاع الغربي بتاريخ ٢٦ نيسان ٢٠٢٤.

٧- بلال محمد خلف، قُتل غارة استهدفته في منطقة البقاع الغربي بتاريخ ٢٦ نيسان ٢٠٢٤.

٨- شرحبيل السيد، القيادي في حماس، قُتل في غارة استهدفته على طريق المصنع بتاريخ ١٧ أيار ٢٠٢٤.

٩- أيمن هاشم غطمة، قُتل في غارة استهدفته في منطقة البقاع الغربي بتاريخ ٢٢ حزيران ٢٠٢٤.

من تشييع القيادي في الجماعة أيمن غطمة، المصدر موقع الجماعة الاسلامية

١٠- محمد حامد جبارة، قُتل في غارة استهدفته في منطقة البقاع الغربي بتاريخ ١٨ تموز ٢٠٢٤.

من تشييع القيادي في الجماعة الاسلامية محمد جبارة، المصدر الجماعة الاسلامية

١١- حسين محمود النادر، قُتل في غارة استهدفت منزله في جديدة مرجعيون بتاريخ ٢٣ أيلول ٢٠٢٤.

١٢- محمد دحروج، اغتيل في قُتل استهدفت منزله في جب جنين في البقاع الغربي بتاريخ ٢٩ أيلول ٢٠٢٤.

١٣- بهاء الدين مايز مغامس، قُتل في غارة استهدفت منزله في جب جنين في البقاع الغربي بتاريخ ٢٩ أيلول ٢٠٢٤.

١٤- علي محمد الحاج، قُتل في غارة استهدفت منزله في بلدة الرفيد في البقاع الغربي بتاريخ ٤ تشرين الأول.

قوات الفجر، الجناح العسكري للجماعة الاسلامية

ما بعد الخاتمة

أظهر هذا التقرير طبيعة الحالة الملتبسة في العلاقة بين «حزب الله» والبيئة السنيّة في لبنان من حيث استغلال الحزب الدائم لقضيّة القدس والأقصى من أجل التغلغل في وجدان العقل والقلب السنّيين المتبني عن طريق القضية الفلسطينية إن من خلال البُعد العروبي أو من خلال السنَد الديني، كما أن عملية دفع المال والدعم العسكري كانتا معيارًا آخر في عملية هذا التغلغل يقابله قلقٌ وأرَق في البيئة السنّية من مشروع تصدير الثورة الإسلامية في إيران والتمدّد في العواصم العربية وقمع الشعوب السنيّة كما حصل في العراق وسوريا. هذا التضارب في المفاهيم والأولويات أظهر عملية مدّ وجزر في تمدّد «حزب الله» في البيئة السنّية حسب الظروف والأماكن وبالتالي لم يستطِع أن يحسم هذا التغلغل بتواجد مُستدام ومُطمْئن كما أنه لم يُخرجه منها بشكل كامل.